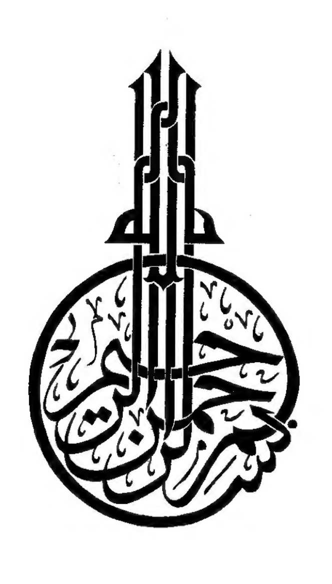
منهج السلف في العقيدة

تأليف

د. عبد الرحمن بن صالح المحمود


بسم الله الرحمن الرحيم





الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فالسلف - رحمهم الله - كان لهم منهج واضح في جوانب العقيدة وفي مناهج الاستدلال، ومنهجهم هذا مدون معروف في كتب مستقلة، وضمن موسوعات الأئمة التي نقلوا فيها أقوال أئمة السنة، ومواقفَهم وردودَهم ومناقشاتهم. وفي الآونة الأخيرة كثرت البحوث والرسائل العلمية في بيان مناهجهم تفصيلاً، وفي ردودهم على مخالفيهم.

ومن نعم الله على العباد انتشار هذا المنهج، وقبوله لدى كثير من الخاصة والعامة؛ وذلك لأسباب منها:

١ - وضوح المنهج في مصادر التلقي: من كتاب الله - تعالى وسنة رسوله ﷺ والإجماع والآثار، وهذه هي أسس الإسلام ومصدره التي لا يعرف المسلمون غيرها.

٢ - سهولة هذه العقيدة ويُسْرها، حفظاً ودراسة وتعلُّماً وتعليماً، بخلاف تعقيدات الفلاسفة والمتكلمين والمذاهب الفاسدة.

٣ - صفاؤها ووضوحها في باب التوحيد والعبودية لله تعالى؛ فهي تصفي القلب عن التعلق بغير الله - تعالى - وتخلصه للعبودية لله الواحد القهار؛ بخلاف غيرها من المناهج التي لا تسلم من جانب أو جوانب من الشرك والتعلق والطاعة للمخلوقين.

٤ - أن ما يخالف مذهب السلف من الطوائف والمذاهب لا تخلو من شروخ وخلل - كبير أو صغير - يصادم صحيح المنقول وصريح المعقول، وفي بعضها من الخرافات ما لا تقبله العقول السلمية.

وفي الآونة الأخيرة كثر الهجوم على منهاج السلف من فئات وطوائف كثيرة، لكل منها أسبابه ودوافعه[1]، ومن ثَمَّ جاءت هذه الرسالة المختصرة مبينة أموراً كثيرة منها:

١ - التعريف بمصطلحات: السلف، أهل السنة، الجماعة، أهل الحديث.

٢ - المقصود بالسلف، ونشأة التسمية بأهل السُّنة والجماعة.

٣ - منهج السلف في العقيدة تفصيلاً.

٤ - ما تميز به السلف عن غيرهم.

وينبغي أن نعلم - ونحن في خضم هذه الأحداث والفتن - أن الحق إنما يعلو وينتشر وينتصر لأمور ليس منها الدعاوى الفارغة، أو السباب والشتم، أو نصب رجال يدور معهم الحق حيث داروا، فلا عصمة لأحد بعد النبي ﷺ، والرجال يُعرَفون بالحق. وعلو الحق وثباته إنما يكون بأمور، على رأسها:

(١) انظر في ذلك رسالة مختصرة جداً بعنوان: ظاهرة الهجوم على منهج السلف، من إصدارات البيان.

١ - قوة الدليل، فما كان دليله الكتاب والسنة الصحيحة، فقوته من قوتهما.

٢ - سلامة منهج الاستدلال وصحته.

٣ - الإخلاص لله - تعالى - والمتابعة لرسول الله ﷺ.

وهذا ما كان عليه سلفنا الصالح - رحمهم الله تعالى - ومن ثَمَّ بقي منهجهم: ثابتاً قوياً منتشراً مقبولاً منصوراً. أما ما خالفهم فقد تكون له في بعض الأحوال صولات وجولات، ولكن سرعان ما يستبين الأمر، ويتخلى عنه من خُدع به. فينزوي في دائرة النسيان أو في بعض بطون الكتب، فإن بقي له دعاة يدافعون عنه، فالأمة لا تقبلهم ولا تريد إلا دينها وعقيدتها وشرعيتها وكتاب ربها وسنة نبيها محمد ﷺ وسلفها الصالح قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧].

وأخيراً فإن هذه الرسالة كانت مقدمة لكتابي: موقف ابن تيمية من الأشاعرة.

وأسأل الله - تعالى - أن ينفع بها الجميع وأن يرزقنا الإخلاص والسداد والثبات على الحق. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وكتبه

عبد الرحمن الصالح المحمود

الرياض ٢٥ / ٤ / ١٤٣٢هـ.



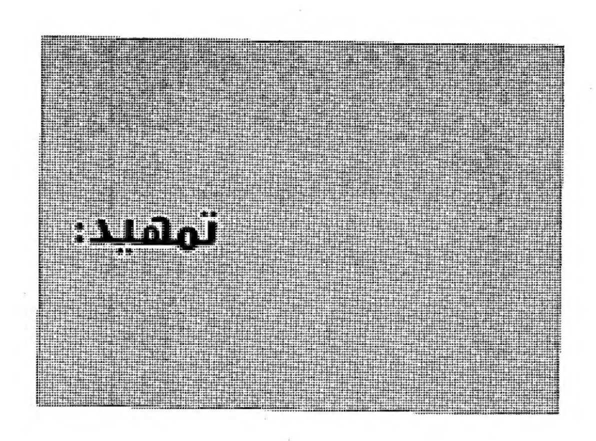
تمهيد

السلف ومنهجهم في العقيدة

أولاً : التعريف بالسلف، أهل السُّنة والجماعة.

ثانياً: نشأة التسمية بأهل السُّنة والجماعة.

ثالثاً: منهج السلف في العقيدة.



إن مسألة الالتزام بمذهب السلف ليست مسألة اختيارية؛ من شاء سلكها ومن شاء سلك غيرها، بل هي مسألة تتعلق بالإيمان بالله وبما جاء به كتابه وسُنة رسوله ﷺ واتباعهما قولاً وعملاً، وهذا مما لا يختلف فيه أحد ممن ينتسب إلى الإسلام؛ ولذا تجد الفرق المنحرفة - على اختلاف فيما بينها - كل واحدة تزعم أنها تسير على ما سار عليه الرسول ﷺ وأصحابه، وتحتج على أقوالها بالنصوص، وحينما تُعدِّد رجالاتها السابقين تذكر في الطبقة الأولى منهم الرسول ﷺ وأصحابه، وهي مع ذلك منحرفة انحرافاً بيِّناً؛ فهي تصادم النصوص، وأحياناً ترفض الاحتجاج ببعضها، وغالباً ترفض فهم الصحابة للنصوص وتفسيرهم لها.

ولذا فإنه لا بد للباحث المسلم أن ينطلق في بحثه من منطلقين:

أحدهما: الثقة المطلقة بمذهب السلف: (أهل السُّنة والجماعة) وأن يكون عنده يقين في ذلك لا يتزعزع أبداً.

والآخر: تحديد المقصود بالسلف: من هم؟ وما منهجهم؟ حتى يسلك طريقتهم

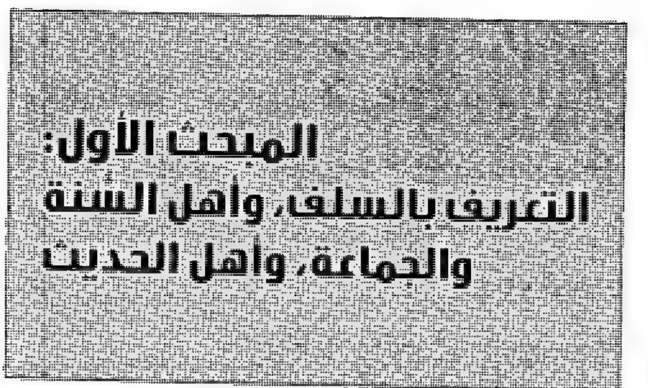
على بصيرة، ولا يتخبط في سيره بين المناهج الأخرى.

ولَـمَّا كان المنطلق الأول مما لا يختلف حوله أحد - ولو بشكل مجمل - فإننا في هذا التمهيد نعرض للمنطلق الثاني من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: التعريف بالسلف، وأهل السُّنة والجماعة، وأهل الحديث.

المبحث الثاني: من هم المقصودون بالسلف؟ ونشأة التسمية بأهل السُّنة والجماعة.

المبحث الثالث: منهج السلف: (أهل السُّنة والجماعة) في العقيدة.



المبحث الأول: التعريف بالسلف، وأهل السُّنة والجماعة، وأهل الحديث

أولاً : السلف:

قال ابن فارس: «سلف»: السين واللام والفاء أصل يدل على تقدُّم وسَبْق، من ذلك السلف الذين مضوا، والقوم السلاف: المتقدمون[1].

هذا هو أصل هذه الكلمة لغوياً؛ ولذا قال في العباب الزاخر: «وسلف يسلف سلفاً: (بالتحريك) مثال: طلب يطلب طلباً؛ أي: مضى. قال الله - تعالى -: ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، والقوم السلاف: المتقدمون، وسَلَفُ الرجلِ: آباؤه المتقدمون، والجمع أسلاف وسُلَّاف»[2]، ثم نقل عن أبي عبيد الهروي معاني السلف، ومنها: القرض، والسَّلَم، ثم قال: «وللسلف معنيان آخران: أحدهما كل عمل صالح قدَّمه العبد أو فَرَطٍ فَرَطَ له، والسلف من تقدَّمك من آبائك وذوي قرابتك»[3]، وهذان المعنيان ذكرهما أهل

(١) معجم مقاييس اللغة، مادة: سلف: (٣/٩٥).

(٢) العباب الزاخر: للحسن بن محمد الصغاني. حرف الفاء، مادة: (سلف)

(٣) المصدر السابق.

غريب الحديث؛ ففي مشارق الأنوار: «والسلف: كل عمل صالح تقدم للعبد، ومنه قوله في الدعاء للطفل: «اجعله لنا فرطاً وسلفاً»[١]؛ أي خيراً متقدماً نجده في الآخرة، والسلف أيضاً: مَن تقدَّمك من آبائك وقرابتك[٢]، ومثله في النهاية، ومجمع بحار الأنوار[٣]، ويشهد للمعنى الأخير: (من تقدمك من آبائك وقرابتك)، حديث فاطمة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال لها «ولا أراني إلا قد حضر أجلي وأنك أول أهلي لحوقاً بي، ونِعْمَ السلف أنا لك»[٤]؛ أي المتقدم. وكذا لما ماتت ابنته قال: «الحقي بسلفنا الصالح الخير، عثمان بن مظعون»[٥] ومنه الدعاء لأهل القبور: «أنتم سلفنا ونحن بالأثر»[٦]؛ أي: المتقدمون.

ونستخلص من هذا أن من معاني السلف: التقدم والسبق؛ سواء كان بالعمل الصالح، أو مَنْ تقدم من الآباء وذوي القرابة وغيرهم، ومن هذا المعنى سمي الصدر

---

(١) هذا الأثر مروي عن الحسن، وقد علقه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز، باب قراءة فاتحة الكتاب على الجنازة: (فتح الباري: ٣/ ٢٠٣)، وذكره البخاري قبل حديث رقم: (١٣٢٥). وقد وصله ابن حجر كما في تغليق التعليق: (٢/ ٤٨٣، ٤٨٤). وقد روى مسلم لفظة: (فرطاً وسلفاً) من حديث آخر مرفوع ونصه: «إن الله - تعالى - إذا أراد رحمة أمة من عباده قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطاً وسلفاً بين يديها...»: (مسلم، كتاب الفضائل، باب إذا أراد الله رحمة أمة قبض نبيها قبلها، ورقمه: ٢٢٨٨).

(٢) مشارق الأنوار: (٢/ ٢١٩).

(٣) انظر النهاية لابن الأثير، مادة: (سلف)، (٢/ ٣٩٠). وانظر أيضاً: مجمع بحار الأنوار: محمد طاهر الصديقي، مادة: (سلف)، (٣/ ١٠٠). وانظر: لسان العرب، مادة: (سلف).

(٤) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة، ورقمه: (٢٤٥٠) مكرراً، ورواه أحمد: (٦/ ٢٨٢).

(٥) رواه أحمد: (١/ ٢٣٧)، ورقمه عند أحمد شاكر: (٢١٢٧) وفيه: أنها زينب، ورواه أحمد أيضاً: (١/ ٣٣٥) ورقمه عند أحمد شاكر: (٣١٠٣) وفيه: أنها رقية.

(٦) رواه الترمذي، كتاب الجنائز: باب ما يقول الرجل إذا دخل المقابر، ورقمه: (١٠٥٣) تحقيق: فؤاد عبد الباقي.

الأول من التابعين: السلف الصالح[1].

ولما حدث الافتراق ونشأت البدع بدأ يتحدد مصطلح السلف في عُرْفِ المتأخرين بأنهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان. وسيأتي مزيد إيضاح ومناقشة لهذا بعد التعريف بالمصطلحات المرادفة لمصطلح: (السلف)، مثل: أهل السُّنة والجماعة، وأهل الحديث والأثر؛ لأن هذه المصطلحات اشتهرت وكثر استعمالها، وخاصة في مجال أصول العقائد.

ثانياً: أهل السُّنة:

السُّنة لغة: السيرة والطريقة. قال ابن فارس: (سن: السين والنون أصل واحد مطرد، وهو جريان الشيء واطراده في سهولة، والأصل قولهم: سننت الماء على وجهي أسنه سنّاً، إذا أرسلت إرسالاً. . . ومما اشتُق منه السُّنة، وهي السيرة، وسُنة رسول الله - عليه السلام - سيرته)[2]؛ فالسُّنة هي الطريقة، محمودة كانت أو مذمومة، وهي مأخوذة من السنن وهو الطريق[3]، ومنه الحديث: «مَن سنَّ في الإسلام سُنة حسُنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومَن سن في الإسلام سُنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[4]. يقول ابن الأثير: (وقد تكرر في الحديث ذكر: (السُّنة) وما تصرَّف منها، والأصل فيها الطريقة والسيرة)[5]، وفي الحديث: «لتتبعن سنن من كان

---

(١) النهاية مادة: (سلف)، (٢/ ٣٩٠)، وتاج العروس مادة: (سلف).

(٢) معجم مقاييس اللغة، مادة: (سنن)، (٣/ ٦٠ - ٦١)، وانظر: مجمَل اللغة له: (٣/ ٥٤ - ٥٥)، ط معهد المخطوطات - الكويت.

(٣) انظر: لسان العرب، مادة: (سنن).

(٤) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة، ورقمه: (١٠١٧).

(٥) النهاية، مادة: (سنن)، (٢/ ٢٢٣).

قبلكم»[1]؛ أي طريقهم، وقولهم: (هي السُّنة)[2]؛ أي الطريقة التي سنَّها النبي ﷺ وأمر بها[3]؛ ولذلك صار لفظ السُّنة يطلَق على ما كان محموداً؛ فيقال: فلان من أهل السُّنة. معناه: من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة[4].

أما السُّنة في الاصطلاح فلها عدة إطلاقات:

١ - ففي اصطلاح المحدِّثين: عرَّفها ابن حجر بأنها: (ما جاء عن النبي ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريره وما همَّ بفعله)[5]، وعرَّفها بعضهم بأنها: (كل ما أُثِر عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خَلقية أو خُلقية، أو سيرة؛ سواء كان ذلك قبل البعثة أو بعدها)[6]، فهي بهذا مرادفة للحديث.

٢ - وفي اصطلاح علماءأصول الفقه يطلق لفظ السُّنة على ما جاء منقولاً عن النبي ﷺ على الخصوص، مما لم ينص عليه في الكتاب العزيز؛ بل إن ما نص عليه من جهته ﷺ كان بياناً لما في الكتاب أولاً[7]، فهي مختصة بما صدر عن النبي ﷺ من غير القرآن

---

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ورقمه: (٣٤٥٦)، وفتح الباري: (٦/ ٤٩٥)، المطبعة السلفية، ورواه مسلم كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، ورقمه: (٢٦٦٩).

(٢) ترد كثيراً على لسان الصحابة والتابعين، انظر: صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب جواز الإقعاء على العقب، ورقمه: (٥٣٦).

(٣) مشارق الأنوار: (٢/ ٢٢٣).

(٤) انظر: لسان العرب، مادة: (سنن).

(٥) فتح الباري: (١٣/ ٢٤٥)، المطبعة السلفية، وانظر: توجيه النظر: (ص ٣).

(٦) السُّنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للسباعي: (ص ٤٧)، وانظر السُّنة قبل التدوين: (ص ١٦)، دراسات في الحديث النبوي للأعظمي: (١/ ١).

(٧) الموافقات للشاطبي: (٤/ ٣)، وانظر: النهاية لابن الأثير: (٢/ ٤٠٩).

مما يصلح أن يكون دليلاً شرعياً[1].

٣ - وفي اصطلاح الفقهاء، هي: ما ثبت عن النبي ﷺ ولم يكن من باب الفرض ولا الواجب[2]، فهي مرادفة للمندوب.

٤ - وقد تُطلَق السُّنة على كل ما دلَّ عليه دليل شرعي؛ سواء كان ذلك في الكتاب العزيز، أو مأثوراً عن النبي ﷺ، أو اجتهد فيه الصحابة: كجمع المصحف، وتدوين الدواوين[3]. ودخول ما اجتهد فيه الصحابة يدل عليه حديث: «عليكم بسنتي وسُنة الخلفاء الراشدين المهديين»[4]، وقول علي في الخمر: (جَلَد النبي ﷺ أربعين، وجَلَد أبو بكر أربعين، وجَلَد عمر ثمانين، وكلٌّ سُنة)[5].

٥ - كما تطلَق السُّنة في مقابل البدعة، (فيقال: فلان على سُنة، إذا عمل على وَفْق ما عمل عليه السلام؛ كان ذلك مما نص عليه الكتاب أو لا)[6].

هذه أهم إطلاقات السُّنة عند العلماء[7]، والذي يهمنا هنا اصطلاح: (السُّنة)

---

(١) انظر: السُّنة قبل التدوين: (ص ١٦).

(٢) انظر: إرشاد الفحول: (ص ٣١).

(٣) السُّنة للسباعي: (ص ٤٨)، وانظر: الموافقات: (٤/ ٤ - ٦).

(٤) رواه الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسُّنة واجتناب البدع، ورقمه: (٢٦٧٦)، تحقيق عطوة، ورواه أبو داود، كتاب السُّنة، باب لزوم لزوم السُّنة، ورقمه: (٤٦٠٧). ط الدعاس.

(٥) رواه مسلم، كتاب الحدود، باب حدِّ الخمر، ورقمه: (١٧٠٧)، وأحمد: (١/ ٨٢)، ورقمه عند أحمد شاكر: (٦٢١).

(٦) المو افقات: (٤/ ٤).

(٧) يطلق لفظ: (أهل السُّنة) في مقابل الرافضة، كما أن الرافضة يعنون به مَن عداهم. يقول ابن تيمية في منهاج السُّنة: (٢/ ١٦٣)، (فلفظ أهل السُّنة يراد به من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة، فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة وقد يراد به أهل الحديث والسُّنة المحضة؛ فلا يدخل فيه إلا من=

حينما يقال: (أهل السُّنة) في مجال العقائد؛ خاصة لـمَّا حدث الافتراق في الأمة الإسلامية. يقول ابن رجب: (وعن سفيان الثوري قال: «استوصوا بأهل السُّنة خيراً فإنهم غرباء»[1]، ومراد هؤلاء الأئمة بالسُّنة طريقة النبي ﷺ التي كان عليها هو وأصحابه، السالمة من الشبهات والشهوات؛ ولهذا كان الفضيل بن عياض يقول: «أهل السُّنة من عرف ما يدخل في بطنه من حلال»[2]؛ وذلك لأن أَكْل الحلال من أعظم خصال السُّنة التي كان عليها النبي ﷺ وأصحابه - رضي الله عنهم - ثم صار في عُرْف كثير من العلماء المتأخرين من أهل الحديث وغيرهم: السُّنة عبارة عمَّا سَلِم من الشبهات في الاعتقادات خاصة في مسائل الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وكذلك في مسائل القدر، وفضائل الصحابة، وصنفوا في هذا العلم تصانيف وسمُّوها كتب السُّنة، وإنما خصوا هذا العلم باسم السُّنة؛ لأن خطره عظيم، والمخالف فيه على شفا هلكة، وأما السُّنة الكاملة فهي الطريقة السالمة من الشبهات والشهوات)[3].

وهذا الذي ذكره ابن رجب - رحمه الله - استقر عليه مصطلح أهل السُّنة؛ ولذلك لما وصل السمعاني في الأنساب إلى ذكر من نسب إلى السُّنة فقيل: (السُّني) قال: (السني: بضم السين المهملة، وتشديد النون المكسورة، هذه النسبة إلى السُّنة التي هي ضد البدعة، ولما كثر أهل البدع خصوا بها جماعة بهذا الانتساب)[4]، ولما سأل عمرَ

=يثبت الصفات لله تعالى. . . وهذا الرافضي: (يعني المصنف) جعل أهل السُّنة بالاصطلاح الأول وهو اصطلاح العامة: كل من ليس برافضي قالوا: هو من أهل السُّنة).

(١) رواه اللالكائي في شرح السُّنة، رقم: (٤٩).

(٢) رواه بلفظ مقارب اللالكائي في شرح السُّنة، رقم: (٥١)، وأبو نعيم في الحلية: (٨/ ١٠٤).

(٣) كشف الكربة: (ص ١٩ - ٢٠).

(٤) الأنساب: (٧/ ١٧٥)، ط لبنان.

ابن عبد العزيز رجلٌ عن القدر أجابه بجواب طويل أوّله: (أما بعد، أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره[1]، واتباع سُنة نبيه ﷺ، وترك ما أحدث المحدِثون بعدما جرت به سُنته، وكُفُوا مؤنته، فعليك بلزوم السُّنة؛ فإنها لك - بإذن الله - عصمة)[2].

فأمره - وهو يجيبه عن موضوع القدر وما أحدث فيه أهل البدع - بلزوم السُّنة وأن فيها وحدَها العصمة من الانحراف.

ثالثاً: الجماعة:

يقال: (أهل السُّنة والجماعة)، وقد ورد الأمر بلزوم الجماعة في عدة أحاديث، منها ما رواه ابن عمر - رضي الله عنهما - أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - خطب بالجابية[3]، فقال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامي فيكم فقال: «استوصوا بأصحابي خيراً، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب؛ حتى إن الرجل ليبتدىء بالشهادة قبل أن يُسألَها؛ فمن أراد منكم بحبحة[4] الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد...»[5]، وفي بعض روايات حديث الافتراق أن

---

(١) أي التوسط بين الإفراط والتفريط. حاشية سنن أبي داود: (٥/ ١٩)، ط الدعاس.

(٢) رواه أبو داود، كتاب السُّنة، باب لزوم السُّنة، ورقمه: (٤٦١٢)، ط الدعاس.

(٣) الجابية: قرية بدمشق. تحفة الأحوذي: (٣/ ٢٠٧) هندية.

(٤) في بعض الألفاظ منها لفظ الترمذي: «بحبوحة الجنة»؛ والمعنى: وسطها وخيارها. تحفة الأحوذي: (٣/ ٢٠٧) هندية.

(٥) رواه أحمد: (١/ ١٨، ٢٦)، وهو في المسند تحقيق شاكر برقم: (١١٤ - ١٧٧). ورواه الترمذي في الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، ورقمه: (٢١٦٥) تحقيق إبراهيم عطوة، وقال فيه الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح غريب)، ورواه الحاكم في المستدرك: (١/ ١١٤ - ١١٥)، من طرق وصححه ووافقه الذهبي. ورواه ابن أبي عاصم في السُّنة: (١/ ٤٢) من عدة طرق وصححه الألباني.

الفرقة الناجية: الجماعة[1]، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «الصلاة المكتوبة إلى الصلاة المكتوبة التي بعدها كفارة لما بينهما. قال: والجمعة إلى الجمعة، والشهر إلى الشهر: (يعني رمضان إلى رمضان كفارة لما بينهما). قال: ثم قال بعد ذلك: إلا من ثلاث. قال: فعرفت أن ذلك الأمر حدث: إلا من الإشراك بالله، ونكث الصفقة، وترك السُّنة. قال: أما نكث الصفقة أن تبايع رجلاً ثم تخالف إليه تقاتله بسيفك، وأما ترك السُّنة فالخروج من الجماعة»[2]، وعن ابن عباس- رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: «من رأى من أميره شيئاً فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية»[3]، وغيرها من الأحاديث التي وردت بالأمر بلزوم

---

(١) منها: رواية معاوية - رضي الله عنه - رواها الإمام أحمد: (٤/ ١٠٢)، وأبو داود، كتاب السُّنة، رقم: (٤٥٩٧)، ط الدعاس، والحاكم في المستدرك: (١/ ١٢٨)، والدارمي: (٢/ ١٥٨) برقم: (٢٥٢١)، ط اليماني، والآجري في الشريعة: (ص ١٨)، وابن أبي عاصم: (١/ ٣٤ - ٣٥)، واللالكائي في شرح السُّنة: (١/ ١٠١ - ١٠٢)، وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وحسنه ابن حجر أحاديث الكشاف: (ص ٦٣)، (ملحق في آخر الكشاف للزمخشري). وجوَّد إسناده العراقي، إحياء علوم الدين: (٣/ ٢٥٥)، وقال عنه ابن تيمية: (هذا حديث محفوظ)، اقتضاء الصراط المستقيم: (١/ ١١٨) النسخة المحققة. وصححه الألباني: السلسلة الصحيحة، رقم: (٢٠٤). ومنها: رواية عوف بن مالك - رضي الله عنه - رواها ابن ماجه، كتاب الفتن، رقم: (٣٩٩٢)، وابن أبي عاصم: (١/ ٣٢)، واللالكائي: (١/ ١٠١)، وإسناده حسن، وذكره الألباني في الصحيحة رقم: (١٤٩٢). ومنها: رواية أنس بن مالك - رضي الله عنه - رواها الإمام أحمد: (٣/ ١٢٠- ١٤٥)، وابن ماجه في الفتن، ورقمه: (٣٩٩٣)، واللالكائي: (١/ ١٠٠)، والآجري في الشريعة: (ص ١٦ - ١٧)، والطبراني في الصغير: (١/ ٢٥٦)، والعقيلي في الضعفاء الكبير: (٢/ ٢٦٢)، ويصح بمجموع طرقه.

(٢) رواه أحمد: (٢/ ٢٢٩)، وهو في مسند شاكر برقم: (٧١٢٩) وصححه، ورواه الحاكم: (١/ ١١٩ ١٢٠) وقال: (صحيح على شرط مسلم، ولا أعرف له علة، ووافقه الذهبي).

(٣) رواه البخاري في الفتن، ورقمه: (٧٠٥٤)، و في الأحكام ورقمه: (٧١ ٤٣)، ورواه مسلم في الإمارة، ورقمه: (١٨٤٩).

الجماعة، والنهي عن الخروج عليها.

وقد اختلف العلماء في المقصود بالجماعة على أقوال أهمها:

١ - أن الجماعة هم الصحابة دون من بعدهم، (فإنهم الذين أقاموا عماد الدين، وأرسوا أوتاده، وهم الذين لا يجتمعون على ضلالة أبداً)[١]، وهذا القول مروي عن عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - ومما روي عنه أنه قال: (سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سنناً، الأخذ بها تصديق بكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، من عمل بها مهتدٍ، ومن استنصر بها منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، وصلاه جهنم وساءت مصيراً)[٢]. قال مالك: (فأعجبني عزم عمر على ذلك)[٣].

فعلى هذا القول فلفظ الجماعة مطابق للرواية الأخرى لحديث الافتراق؛ حيث قال ﷺ: «وتفترق أمتي على ثلاث وسبعن ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة قالوا: ومن هي يارسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي»[٤]، والصحابة لهم خصوصيات كثيرة؛

---

(١) الاعتصام: (٢/ ٢٦٢)، وانظر: فتح الباري: (١٣/ ٣٧).

(٢) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم: (٢/ ٢٢٨) بسنده إلى مالك عن عمر بن عبد العزيز، وأيضاً رواه أبو نعيم في الحلية: (٦/ ٣٦٤)، والآجري في الشريعة في عدة مواضع، (ص: ٤٨، ٦٥، ٣٠٧)، واللالكائي في شرح السُّنة رقم: (١٣٤). ولكن هذا الكلام مروي عن مالك، رواه الخطيب في شرف أصحاب الحديث: (ص ٧)، والذهبي في سير أعلام النبلاء: (٨/ ٨٨).

(٣) الاعتصام: (٢/ ٢٦٣).

(٤) رواه الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص، كتاب الإيمان، ورقمه: (٢٦٤١)، ورواه الحاكم: (١/ ١٢٨ - ١٢٩)، والآجري في الشريعة من طريقين، (ص: ١٥ - ١٦)، واللالكائي شرح السُّنة، رقم: (١٤٥ - ١٤٧)، والعقيلي في الضعفاء الكبير: (٢/ ٢٦٢)، وابن وضاح في البدع والنهي عنها: (ص٨٥). وقال فيه الترمذي: (هذا حدث حسن، غريب مفسر لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا=

فهم الذين شاهدوا التنزيل، وسمعوا من الرسول، فلهم من العلم والفضل، والاقتداء ما ليس لغيرهم ممن جاء بعدهم.

٢ - وقيل: إن الجماعة هم أهل الحديث، أو أهل العلم[١] المجتهدون؛ : (لأن الله جعلهم حجة على الخلق، والناس تبع لهم في أمر الدين)[٢]، وهذا رأي الإمام البخاري قال: (باب ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾ [البقرة:١٤٣]، وما أمر النبي ﷺ بلزوم الجماعة، وهم أهل العلم)[٣]، وهو رأي الإمام أحمد - رحمه الله - فإنه قال عن الجماعة: (إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم؟)[٤]، وهو رأي الترمذي الذي قال: (وتفسر الجماعة عند أهل العلم: هم أهل الفقه والعلم والحديث)[٥]، وهو رأي ابن المبارك وعلي بن المديني، وأحمد بن سنان الذي قال: (هم أهل العلم وأصحاب الآثار)[٦].

فعلى هذا القول فالجماعة هم أهل السُّنة العالمون المجتهدون، فيخرج منهم المبتدعة، كما يخرج العامة المقلدة؛ لأن الغالب فيهم أنهم تبع للعلماء.

=الوجه). قال في تحفة الأحوذي: (في سنده عبد الرحمن بن زياد الإفريقي وهو ضعيف، فتحسين الترمذي له لاعتضاده بأحاديث الباب. قول الترمذي: (مفسَّر) اسم مفعول من التفسير، أي: مبيَّن، بيَّن فيه ما لم يبين في حديث أبي هريرة المتقدم)، تحفة الأحوذي: (٣/ ٣٦٨)، هندية، وذكره ابن تيمية محتجاً به؛ حيث نقل تحسين الترمذي له. اقتضاء الصراط المستقيم: (١/ ١١٦) المحققة.

(١) يلاحظ أن بعض العلماء عبَّر عن الحديث بالعلم، فالخطيب البغدادي سمى كتابه: تقييد العلم، وابن عبد البر سمى كتابه: جامع بيان العلم وفضله، وقصدهم الحديث.

(٢) فتح الباري: (١٣/ ٣٧).

(٣) صحيح البخاري: فتح الباري: (١٣/ ٣١٦).

(٤) شرف أصحاب الحديث: (ص٢٥).

(٥) سنن الترمذي: (٤/ ٤٦٥).

(٦) شرف أصحاب الحديث: (ص٢٦ ٢٧).

٣ - وقيل: إن الجماعة هم السواد الأعظم، وعليه رواية الافتراق التي أخبر النبي ﷺ فيها أن الفرقة الناجية هم السواد الأعظم[١]. قال في النهاية: (عليكم بالسواد الأعظم[٢]؛ أي جملة الناس ومعظمهم، الذين يجتمعون على طاعة السلطان وسلوك النهج القويم)[٣]. يقول عبد اللة مسعود - رضي الله عنه - في إحدى خطبه: (يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة، فإنهما السبيل في الأصل إلى حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة)[٤]، ويقول أبو غالب - رحمه الله: (إن السواد الأعظم هم الناجون من الفرق، فما كانوا عليه من أمر دينهم فهو الحق، ومن خالفهم مات ميتة جاهلية؛ سواء خالفهم في شيء من الشريعة أو في إمامهم وسلطانهم فهو مخالف للحق)[٥]، ويقول أبو مسعود الأنصاري - رضي الله عنه - حين خرج ونزل في طريق القادسية وقال له أصحابه: اعهد إلينا، فإن الناس قد وقعوا في الفتنة فلا ندري أنلقاك بعد اليوم أم لا. فقال: (اتقوا الله واصبروا حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر، وعليكم بالجماعة فإن الله لا يجمع أمته على الضلالة)[٦]. يقول الشاطبي معقباً: (فعلى

---

(١) رواه الطبراني في الكبير من طرق: (٨/ ٣٢١-٣٢٨)، وأرقامه: (٨٠٣٥، ٥٣٥١، ٨٠٨٠، ٨٠٥٤)، ورواه اللالكائي في شرح السُّنة من طريقين، رقمها: (١٥١ - ١٥٢)، ورواه ابن أبي زمنين في أصول السُّنة: (ص ٣٦)، من المخطوطة، والحارث ابن أبي أسامة كما في المطالب العالية: (٣/ ٨٦)، كما رواه مختصراً بدون ذكر الافتراق: أحمد والترمذي وابن ماجه في قصة الخوارج. قال في مجمع الزوائد: (٦/ ٢٣٤)، (ورواه الطبراني ورجاله ثقات).

(٢) رواه ابن ماجه مرفوعاً في الفتن، رقمه: (٣٩٥٠)، وإسناده ضعيف، وروي موقوفاً عن أبي أمامة. مسند أحمد: (٤/ ٢٧٨)، وعن عبد الله بن أبي أوفى، المسند أيضاً: (٤/ ٣٨٣).

(٣) النهاية: (٦/ ٤١٩).

(٤) رواه اللالكائي، رقم: (١٥٨ - ١٥٩)، والآجري في الشريعة: (ص ١٣).

(٥) الاعتصام: (٢/ ٢٦٠).

(٦) رواه اللالكائي، ورقمه: (١٦٢ - ١٦٣).

هذا القول يدخل في الجماعة مجتهدو الأمة وعلماؤها، وأهل الشريعة العاملون بها، ومن سواهم داخلون في حكمهم لأنهم تابعون لهم ومقتدون بهم؛ فكل من خرج عن جماعتهم فهم الذين شذوا وهم نهبة الشيطان، ويدخل في هؤلاء جميع أهل البدع؛ لأنهم مخالفون لمن تقدم من الأمة، لم يدخلوا في سوادهم بحال)[1]. ويقول الآجري: (فمن أراد الله - تعالى - به خيراً فتح له باب الدعاء، والتجأ إلى مولاه الكريم وخاف على دينه، وحفظ لسانه، وعرف زمانه، ولزم الحجة الواضحة السواد الأعظم)[2].

٤ - وقيل: إن الجماعة هم جماعة أهل الإسلام إذا أجمعوا على أمر من أمور الشرع؛ سواء في أمور الأحكام أو المعتقدات. يقول الكرماني: (يلزم على المكلف متابعة حكم الجماعة والاعتصام به؛ وهو اتفاق المجتهدين من الأمة في عصر على أمر ديني)[3] فهذا القول يفسر الجماعة بأهل الإجماع؛ ولذا فهو قريب من القول الثاني.

٥ - أن الجماعة: هم جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير، وهذا رأي الطبري الذي ذكر الأقوال السابقة، ثم قال: (والصواب أن المراد من الخبر لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة)[4]؛ ولذا أمر النبي ﷺ بلزومه، ونهى عن الخروج عليه، وفراق الأمة فيما أجمعوا عليه من تأميره وتقديمه عليهم[5].

هذه أهم الأقوال في الجماعة وحاصلها أن الجماعة ترجع إلى أمرين:

أحدهما: أن الجماعة هم الذين اجتمعوا على أمير على مقتضى الشرع، فيجب

---

(١) الاعتصام: (٢/ ٢٦١).

(٢) الشريعة: (ص ٤٤).

(٣) شرح الكرماني على البخاري: (٢٥/ ٧٥).

(٤) فتح الباري: (١٣/ ٣٧).

(٥) انظر الاعتصام: (٢/ ٢٦٤ - ٢٦٥).

لزوم هذه الجماعة، ويحرم الخروج عليها وعلى أميرها.

الثاني: أن الجماعة ما عليه أهل السُّنة من الاتباع وترك الابتداع، وهو المذهب الحق الواجب اتباعه والسير على منهاجه، وهذا معنى تفسير الجماعة بالصحابة، أو أهل العلم والحديث، أو الاجماع، أو السواد الأعظم؛ فهي كلها ترجع إلى معنى واحد هو: ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، فيجب الاتباع حينئذٍ؛ ولو كان المتمسك بهذا قليلاً، ولهذا قال عبد الله ابن مسعود - رضي الله عنه -: (إنما الجماعة ما وافق طاعة الله وإن كنت وحدك)[1]، وروي عنه أنه قال: (إنما الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك)[2]. يقول أبو شامة: (حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق وأتباعه، وإن كان المتمسك بالحق قليلاً والمخالف كثيراً؛ لأن الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من النبي ﷺ وأصحابه - رضي الله عنهم - ولا تنظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم)[3]، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (ثم من طريقة أهل السُّنة والجماعة اتباع آثار رسول الله ﷺ باطناً وظاهراً، واتباع السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، واتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال: «عليكم بسنتي وسُنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنَّ كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[4]، ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدي محمد ﷺ على هدي كل أحد، وبهذا سمُّوا أهل الكتاب والسُّنة، وسموا أهل الجماعة؛ لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً للقوم المجتمعين أنفسهم،

---

(١) رواه اللالكائي في شرح السُّنة، ورقمه: (١٦٠).

(٢) الحوادث والبدع لأبي شامة: (ص ٢٢).

(٣) المصدر السابق: (ص ٢٢).

(٤) سبق تخريجه عند الكلام عن معنى (أهل السُّنة).

و (الإجماع) هو الأصل الثالث الذي يُعتَمد عليه في العلم والدين، وهم يَزِنُون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة وظاهرة مما له تعلق بالدين)[١]. ولهذا نجد أحياناً بعض العلماء يفسرون الجماعة بأشخاص تمثَّل فيهم المنهج الحق والاتباع؛ فعبد الله بن المبارك لما سئل عن الجماعة قال: (أبو بكر وعمر، فقيل له: قد مات أبو بكر وعمر. قال: ففلان وفلان، قيل له: قد مات فلان وفلان. قال ابن المبارك: أبو حمزة السكري جماعة)[٢]. فأراد ابن المبارك أن يفسر الجماعة بمن اجتمعت فيه صفات الاتباع الكامل للكتاب والسُّنة.

رابعاً: أهل الحديث:

تقدم في القول الثاني من الأقوال في المقصود بالجماعة: أنهم أهل الحديث، وأن هذا قال به جماعة من أهل العلم كالبخاري والإمام أحمد، والترمذي، وابن المبارك، وابن المديني، وأحمد بن سنان، وغيرهم. ولذلك صار عند كثير من العلماء أن الفرقة الناجية التي يجب السير على منهاجها هم أهل الحديث. ولذلك فإننا سنعرِّف بهم هنا:

الحديث في اللغة ضد القديم[٣]، وفي الاصطلاح: عرَّفه بعضهم بأنه: (ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خَلقي أو خُلقي)[٤]، وعلى هذا فلا يشمل الموقوفَ والمقطوعَ[٥]، ولكن جمهور العلماء ذهبوا إلى أنهما من الحديث[٦].

---

(١) مجموع الفتاوى، ط الرياض: (٢/ ١٥٧).

(٢) سنن الترمذي: (٤/ ٤٦٧) بعد حديث رقم: (٢١٦٧)، تحقيق: عطوة، وشرح السُّنة للبغوي: (١/ ٢٠٥) ت: السيد صقر.

(٣) الصحاح للجوهري، مادة: حدث.

(٤) منهج النقد في علوم الحديث: (ص ٢٦).

(٥) الموقوف: ما أضيف إلى الصحابي، والمقطوع: ما أضيف إلى التابعي.

(٦) منهج النقد: (ص ٢٧)، وانظر: نزهة النظر: (ص ١٨).

علم الحديث:

علم الحديث قسمان:

أولاً: علم الحديث رواية: وهو: (علم يشتمل على أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته، وصفاته، وروايتها وضبطها وتحرير ألفاظها)[1].

ثانياً: علم الحديث دراية: وهو: (علم بقوانين يعرف بها أحوال السند والمتن)[2]، وهو ما يعرف بمصطلح الحديث.

وإذا قيل: (أهل الحديث)، فالمقصود بهم الذين يُعنَوْن بحديث رسول الله ﷺ رواية ودراية، ولكن لا بد لهؤلاء - حتى يكونوا من أهل الحديث حقاً - أن يكونوا عالمين وعاملين، وأن يكونوا مطبِّقين لما يتعلمونه، متبعين للسُّنة مجانبين للبدعة، وبهذه الأمور يتميزون عن أهل الأهواء. أما إذا كانوا لا يعملون بعلمهم - كما يحدث من بعض من ينتسب إلى الحديث - فقد اشتد نكير العلماء على مثل هؤلاء[3]. وقد روي عن هارون الرشيد أنه قال: (طلبت أربعة فوجدتها في أربعة: طلبت الكفر فوجدته في الجهمية، وطلبت الكلام والشغب فوجدته في المعتزلة، وطلبت الكذب فوجدته عند الرافضة، وطلبت الحق فوجدته مع أصحاب الحديث)[4]، ويروي الخطيب عن أحمد بن سنان قال: (كان الوليد الكرابيسي خالي، فلما حضرته الوفاة قال لبنيه: تعلمون أحداً أعلم بالكلام مني؟ قالوا: لا. قال: فتتهموني؟ قالوا: لا. قال: فإني أوصيكم،

---

(١) تدريب الراوي: (١/ ٤٠).

(٢) المصدر السابق: (١/ ٤١).

(٣) انظر - مثلاً -: جامع بيان العلم وفضله: (ص٢٢٩٤١) وما بعدها، وشرف أصحاب الحديث: (ص ١٢٠) وما بعدها.

(٤) شرف أصحاب الحديث: (ص ٥٥).



أتقبلون؟ قالوا: نعم. قال: عليكم بما عليه أصحاب الحديث فإني رأيت الحق معهم)[1].

فأهل الحديث مرادف لأهل السُّنة. يقول اللالكائي: (فلم نجد في كتاب الله وسُنة رسوله وآثار صحابته إلا الحث على الاتباع، وذم التكلف والاختراع؛ فمن اقتصر على هذه الآثار كان من المتبعين، وكان أَوْلاهُم بهذا الاسم، وأحقهم بهذا الوسم، وأخلصهم بهذا الرسم (أصحاب الحديث) لاختصاصهم برسول الله ﷺ واتباعهم لقوله، وطول ملازمتهم له، وتحمُّلهم علمه)[2]، ثم يعلل وجه تسميتهم بأهل الحديث بأن اسمهم مأخوذ من الكتاب والسُّنة لاتباعهم ما فيهما؛ فهم حملة القرآن وأهله وقراؤه وحفظته، وهم نقلة حديث رسول الله ﷺ وحملته[3].

* * *

هذه تعريفات للمصطلحات التي تطلق على السلف، أصحاب المذهب الحق، والمنهج الحق، وهي كلها تدل على معنى واحد، ولذلك يمكن أن يفسر بعضها بما تدل عليه معاني بعضها الآخر؛ فهم الجماعة، وهم أهل السُّنة، وهم أيضاً أهل الحديث، وهم الطائفة المنصورة التي قال فيها رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس»[4] وفي لفظ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»[5].

---

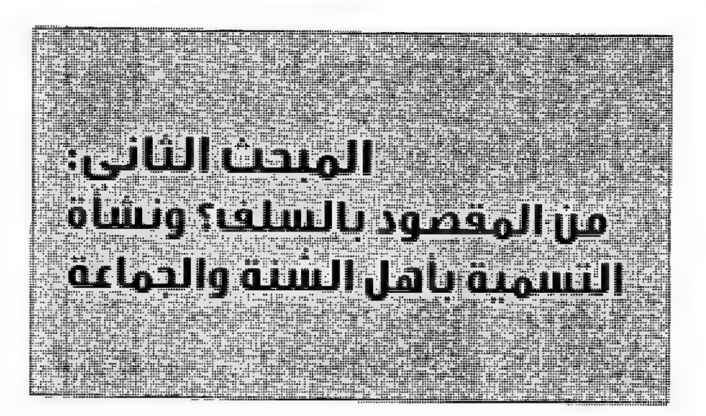
(١) المصدر السابق: (ص ٥٦).

(٢) شرح السُّنة للالكائي: (١/ ٢٢).

(٣) انظر: المصدر السابق: (١/ ٢٤).

(٤) رواه مسلم، كتاب الإمارة، ورقمه بعد حديث رقم: (١٩٢٣).

(٥) رواه مسلم، ورقمه: (١٩٢٠)، عن ثوبان، ورواه البخاري عن المغيرة بن شعبة، ورقمه: (٢٦٤٠)، وهذا الحديث مروي في جميع كتب السُّنة - تقريباً - عن عدد كبير من الصحابة، فهو متواتر.



أولاً : من المقصود بالسلف؟

لقد تنوعت الآراء والمذاهب حول المقصود بمذهب السلف، وعلى من ينطبق وصف (السلف) الذين يجب اتباع مذهبهم والسير على منهاجهم؟ والسبب أن كل فئة تنطلق من وضعها الخاص بها وتدعي أن ما معها هو المذهب الحق؛ لذلك نجد هذه الفئة تحدد المقصود بالسلف بما يتم مع ما عندها من أصول عقائدية، أو منهج ارتضته للوصول إلى ما يجب اعتقاده.

١ - فأحياناً يتجه بعض[1] المحدثين إلى حصر مذهب السلف بفترة معيَّنة لا يتعداها، ثم يزعم أن الفكر الإسلامي قد تطور بعد ذلك على يد رجاله، وهذا التطور لا ينحصر عنده في نطاق فئة معيَّنة، وإنما كل ما ظهر من الآراء والفرق منتسباً بعمومه إلى الإسلام فهو جزء منه، ولو خالف ما كان عليه السلف في المنهج والفهم والاعتقاد؛ وعلى هذا فالمعتزلة والرافضة، بل الجهمية والباطنية هم نتاج مذهب السلف بعد تطويره وبعثه، وتجريده من

(١) أمثال مصطفى غالب وعارف تامر، وغيرهم، ممن يُعنَون ويميلون إلى الأفكار الباطنية والفلسفية.

ثوبه التقليدي البسيط إلى لباس العقل الفلسفي والتأويل الكلامي والباطني.

ولذلك فكثيراً ما يزعم بعض هؤلاء أن عقيدتهم هي التعبير الصحيح عن مذهب السلف، وأن مذهب السلف - بشكله المعروف - إنما ناسب الزمن الذي نشأ فيه، وأن رجاله الأوائل لو عاشوا إلى الزمن الذي بعدهم لطوروه إلى المستوى الذي وُجِدَ عليه فيما بعد.

٢ - وبعضهم يفهم أن السلف نَصيُّون، يعتمدون على النصوص فقط، أما العقل فلا يعتمدن عليه في شيء أبداً، فهم يسلِّمون فقط لظاهر النصوص دون فهم لها، ويكلون علمها (معانيها وكيفيتها) إلى الله، تعالى؛ ولذلك فقد شغلوا أنفسهم بما يرون أنه أنفع من العبادة والجهاد في سبيل الله، وإقراء القرآن، ونقل الحديث وروايته.

والعجيب أن مفهوم هؤلاء عن السلف ومنهجهم منتشر بين جمهرة كبيرة من العلماء الذين نحوا منحىً كلامياً في عقائدهم أو في كتبهم حول العقيد ة، وأيضاً من الذين كتبوا حول الفلسفة وعلم الكلام، أو أية قضية من قضاياه؛ ولذلك انتشرت بين هؤلاء جميعاً عبارة: مذهب السلف هو التفويض، أو عبارة بعض السلف: (أَمِرُّوهَا كما جاءت)، أو أن مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم[1].

أما العقل عند السلف - على رأي هؤلاء - فلا يُعْتَمَد عليه مطلقاً، ولا أدري ما يصنع هؤلاء بالدلائل العقلية التي جاء بها القرآن والسُّنة، وهي التي استخدمها علماء السلف في العصر الأول؟

ويعلل هؤلاء نشوء ما يسمى بمذهب (الخلف) أو (علم الكلام) بأنه لما كثرت الشبهات التي تثار ضد العقيدة الإسلامية، رأى علماء الإسلام أنه لا يكفي للرد عليها وإبطالها وحماية الناس- وخاصة العامة منهم- من شرورها وآثارها لا يكفي في ذلك

(١) كما هو منتشر في كتب كثير من الأشعرية وغيرهم.

الاعتماد على مذهب السلف النصي، فنشأ علم الكلام بمباحثه العقلية والكلامية ليرد الشبهات ويثبِّت العقيدة ويظهر الحِجَاج لها في أجواء سادت فيها مذاهب الفلاسفة والجهمية والمعتزلة والقرامطة.

فهل فَهْمُ هؤلاء لمذهب السلف كان صحيحاً حين قصروه على الإيمان بالنصوص والتسليم دون فهم أو اقتناع؟

٣ - وتأتي فئة أخرى تزعم أن ما نشأ من الدراسات العقلية في علم الكلام لم ينشأ من المؤثرات الخارجية والشبهات التي أثارها أعداء العقيدة - وإن كان قد تطور بسببها - وإنما نشأ من مذهب السلف نفسه، وأن بواكير الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام إنما جاءت من القرآن الكريم؛ ففيه المجادلة للمخالفين من أهل الديانات الأخرى وغيرَهم، وفيه ذكر الحكمة التي كانت معروفة عند العرب وكان يُفتَخَر بأصحابها، وأن ما نشأ من البحث حول الاجتهاد في الأحكام الشرعية - وهو يسمى بأصول الفقه - إنما هو بداية ظهور الاتجاه العقلي عند المسلمين[1].

فالذي يُفهَم من هذا أن السلف - رحمهم الله تعالى - كانوا يحترمون النصوص، ولكن من خلال منظار عقلي استخدموه ونشأ على أثره علم الكلام؛ فكيف يصح هذا على إطلاقه مع ما هو متواتر عن السلف من الإيمان والتسليم والثقة المطلقة بما جاءت به النصوص، وأن هذه الثقة توجد على أتمها حين تَرِد على النفس أو يورِد بعض الناس شبهات أو وساوس حولها؟

٤ - وإذا كانت الآراء السابقة تنحو منحىً خاصاً في فهم المقصود بمذهب السلف،

---

(١) انظر: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، مصطفى عبد الرازق، (ص ١١٥ - ١٢٣)، وانظر: المدرسة السلفية، حسين نصار، (ص ٦٢٤ - ٦٢٥).

فإن هناك اتجاهاً آخر يزعم أصحابه أن مذهب السلف يشتمل على عدة اتجاهات وتيارات، وأن هذه التيارات وإن تباينت في المنهج إلا أنها تلتقي في أنها قامت ونشأت على يد علماء الإسلام ممن هم من أهل الدين والفضل والعلم بالأحكام. يقول ابن السبكي في شرح عقيدة ابن الحاجب: (اعلم أن أهل السُّنة والجماعة كلهم قد اتفقوا على معتقَد واحد فيما يجب ويجوز ويستحيل وإن اختلفوا في الطرق والمبادئ الموصلة لذلك، وبالجملة فهم بالاستقراء ثلاث طوائف:

الأولى: أهل الحديث، ومعتمَد مبادئهم الأدلة السمعية: الكتاب والسُّنة والإجماع.

الثانية: أهل النظر العقلي، وهم الأشعرية والحنفية، وشيخ الأشعرية أبو الحسن الأشعري، وشيخ الحنفية: أبو منصور الماتريدي، وهم متفقون في المبادئ السمعية فيما يدرك العقل جوازَه فقط، والعقلية والسمعية في غيرها، واتفقوا في جميع المطالب الاعتقادية إلا في مسائل.

الثالثة: أهل الوجدان والكشف، وهم الصوفية، ومبادئهم مبادئ أهل النظر والحديث في البداية والكشف والإلهام في النهاية)[1]. وهكذا يخلط بين اتجاه أهل الحديث، والاتجاه التأويلي للأشعرية والماتريدية، واتجاه الكشف عند المتصوفة ليصبح كل اتجاه منها هو مذهب أهل السُّنة والجماعة.

* * *

وهذه الاتجاهات والآراء حول تحديد المقصود بالسلف نشأ الخطأ في كل واحد منها

(١) إشارات المرام للبياضي (الحاشية): (ص ٢٩٨).

من جهة أنه لم ينطلق أصحابها من منطلَق شرعي واضح، مبنيٍّ على الكتاب والسُّنة اللذَين أمرا بالاتباع ونهيا عن الابتداع، وحددا معالم المنهج والطريق الذي يجب السير فيه، ومن ثَمَّ يجب اتباع من سار على هذا الطريق المستقيم.

ومما ينبغي ملاحظته أنَّا إذا أردنا أن نبيِّن القول الصحيح في تحديد من هم الذين يصدق عليهم اسم السلف، تبرز بعض الملاحظات والاعتراضات:

١ - فمثلاً: حين نقول: إن السلف هم الصحابة والتابعون والتابعون لهم للحديث الوارد: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم...»[1]. ويرد الاعتراض بأن التفرق والاختلاف نشأ في عهد هؤلاء؛ فالخوارج والشيعة والقدرية وُجِدوا في عهد الصحابة، وكذا بقية الفرق بعد هؤلاء بقليل؛ فهل وجود هؤلاء في هذه الفترة الزمنية التي هي خير القرون يعطيهم صفة السلفية المفضلة؟ وإذا كان الجواب - قطعاً - بالنفي فلا بد من التقييد لمثل هذا الاطلاق في تحديد من هم السلف؛ بحيث لا يقتصر على التحديد الزمني فقط.

٢ - كذلك حينما يقال: إن السلف هم الذين يعتمدون في أقوالهم على الكتاب والسُّنة، وهنا يبرز اعتراض خلاصته: من الذي يُعتَمَد عليه في فهم الكتاب والسُّنة، وخاصة أن الفِرَق كلها تدعي الاعتماد على القرآن والسُّنة؟ فالإطلاق هكذا يحتاج إلى بيان وإيضاح.

٣ - وكذلك حين يحصر بعض الناس مذهب السلف بالأئمة الأربعة: أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد؛ فمن كان قبل هؤلاء من الصحابة والتابعين أليسوا أوفى بوصف السلف؟

لذلك لا بد من التحديد الدقيق للتعريف بالسلف؛ بحيث يشمل:

---

(١) رواه البخاري، في الشهادات، ورقمه: (٢٦٥١)، وانظر أطرافه بعد ذكر الحديث. ورواه مسلم في فضائل الصحابة، وأرقامه: (٢٥٣٣ - ٢٥٣٦).

أولاً: التحديد الزمني: ليشمل الصحابة والتابعين والتابعين لهم بإحسان، وهذا لبيان المنطلق والبداية لمذهب السلف، وفائدة هذا التحديد الرجوع إلى أقوال رجال هذا الزمن وإلى فهمهم عند الاختلاف الذي قد ينشأ فيمن بعدهم. وهذه مسألة مهمة جداً؛ إذ الخلاف الحاصل بعد القرون المفضلة بين من يتمسك بمذهب السلف ومن عداهم من أهل الأهواء والبدع لا يمكن حسمه إلا بالاتفاق على مثل هذا التحديد التاريخي ليُحتكَم إلى إجماعهم - إذا أجمعوا - أو أقوالهم، أو فهمهم للنصوص. ولا يعني هذا حصر مذهب السلف في هؤلاء؛ لأن كل من قال بقولهم فهو على منهجهم وإن تأخر.

ثانياً: ثم يأتي بعد ذلك بيان أن الفهم والمنطلق يجب أن يكون بما يوافق الكتاب والسُّنة؛ فمن ابتدع في أمر من الأمور واتخذ لبدعته منهاجاً خاصاً، لا يكون قوله قولاً للسلف، ولو كان هذا في القرون الأولى؛ لأن وجوده في هذا الزمن لا يكفي للحكم عليه بأنه سائر على مذهب السلف.

ثالثاً: بعد ظهور الافتراق يصبح مدلول (السلف) منطبقاً على من حافظ (على العقيدة والمنهج الإسلامي، طبقاً لفهم الأوائل الذين تلقفوه جيلاً بعد جيل)[1]؛ فمن سار على طريقة الصدر الأول من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، الذين اتبعوا ولم يبتدعوا فهو سائر على مذهب السلف، وهو أيضاً بالنسبة لمن بعده من السلف.

والخلاصة أن مصطلح السلف صار له مدلولان:

- مدلول خاص وهذا ينطبق على مذهب الصحابة والتابعين، والتابعين لهم بإحسان، ممن لم يبتدعوا، وهذا فيه حصر تاريخي.

---

(١) قواعد المنهج السلفي، مصطفى حلمي: (ص ٢٣)، ط ثانية.

• ومدلول أعم: يشمل ما بعد هذه القرون المفضلة، وهذا شامل لكل من سار على طريقة ومنهج خير القرون، والتزم النصوص والفهم الذي فهموه[1].

ثانياً: نشأة التسمية بأهل السُّنة والجماعة:

إذا كان مذهب أهل السُّنة والجماعة هو ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، فإطلاق القول بنشأة أهل السُّنة كأن يقال: نشأة المعتزلة، أو الجهمية، أو نشأة الرافضة لا معنى له؛ لأنه واضح تمام الوضوح، ولذلك آثرنا أن يكون العنوان: نشأة التسمية بأهل السُّنة والجماعة كمصطلح عليهم. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومذهب أهل السُّنة والجماعة مذهب قديم، معروف، قبل أن يخلق الله أبا حنيفة ومالكاً والشافعي وأحمد، فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم، ومن خالف ذلك كان مبتدعاً عند أهل السُّنة والجماعة؛ فإنهم متفقون على أن إجماع الصحابة حجة، ومتنازعون في إجماع من بعدهم)[2].

والمتتبع لنشأة التسمية بأهل السُّنة يلاحظ أنها ارتبطت بالإمام أحمد، رحمه الله؛ وليس ذلك لأن الإمام أحمد هو الذي أنشأه؛ وإنما لأنه هو الإمام الذي امتُحن فيه فصبر فصار إماماً من أئمة أهل السُّنة. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بعد الكلام السابق: (وأحمد بن حنبل وإن كان قد اشتهر بإمامة السُّنة والصبر في المحنة، فليس ذلك لأنه انفرد بقول أو ابتدع قولاً، بل لأن السُّنة التي كانت موجودة معروفة قبله عَلِمَها ودعا إليها، وصبر على من امتحنه ليفارقها، وكان الأئمة قبله قد ماتوا قبل المحنة، فلما وقعت محنة الجهمية نفاة الصفات في أوائل المئة الثالثة في عهد المأمون وأخيه المعتصم ثم الواثق، ودعوا الناس إلى التجهم وإبطال صفات الله، تعالى؛ وهو المذهب الذي ذهب إليه متأخرو الرافضة، وكانوا قد أدخلوا معهم

---

(١) انظر: المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٢) منهاج السُّنة: (٢/ ٤٨٢) تحقيق محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى.

من أدخلوه من ولاة الأمور، فلم يوافقهم أهل السُّنة حتى تهددوا بعضهم بالقتل، وقيدوا بعضهم، وعاقبوهم، وأخذوهم بالرغبة والرهبة، وثبت الإمام أحمد على ذلك الأمر حتى حبسوه مدة، ثم طلبوا أصحابهم لمناظرته، فانقطعوا معه في المناظرة يوماً بعد يوم...) وذكر المحنة ثم قال: (ثم صارت هذه الأمور سبباً في البحث عن مسائل الصفات وما فيها من النصوص والأدلة والشبهات من جانبي المثبتة والنفاة، وصنف الناس في ذلك مصنفات، وأحمد وغيره من علماء السُّنة والحديث ما زالوا يعرفون فساد مذهب الروافض والخوارج والقدرية والجهمية والمرجئة، ولكن بسبب المحنة كثر الكلام، ورفع الله قدر هذا الإمام، فصار إماماً من أئمة السُّنة، وعلماً من أعلامها، لقيامه بإعلامها وإظهارها، واطلاعه على نصوصها وآثارها، وبيانه لخفي أسرارها، لا لأنه أحدث مقالة أو ابتدع رأياً، ولهذا قال بعض شيوخ المغرب: المذهب لمالك والشافعي، والظهور لأحمد، يعني أن مذاهب الأئمة في الأصول مذهب واحد، وهو كما قال)[1].

فمن هذا النص يتبين أن مذهب أهل السنة والجماعة امتداد لما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، فإذا ما قام إمام من الأئمة في زمن البدع بالدعوة إلى العقيدة السليمة وإلى منهج أهل السُّنة، ومحاربة ما يخالفها فهذا الإمام لم يأتِ بجديد، وإنما جدد ما اندرس من مذهب أهل السُّنة وأحيا ما مات منه، وإلا فالعقيدة لم تتغير، فإذا ما نسب - في بعض الأزمان أو الأمكنة - مذهب أهل السُّنة إلى عالم من العلماء، أو مجدد من المجددين فلأنه دعا اليه لا لأنه ابتدعه أو اخترعه.

ومما سبق يتبين أن طرح النشأة لمذهب أهل السُّنة ينبغي أن ينصبَّ على التسمية، أما النشأة ذاتها فواضحة؛ لأنها كانت مع مجيء الإسلام الذي وَضُح وكَمُل أتم كمال وأبينه في عهد الرسول ﷺ فمن جاء بعده إذا قيل عنه: إنه إمام أهل السُّنة - في زمنه أو بعد

(١) منهاج السُّنة: (٢/ ٤٨٢ ٤٨٦) تحقيق: محمد رشاد سالم.

زمنه - فلأنه دعا إلى الأصول الأولى لمذهب أهل السُّنة وجدد ما اندرس منها.

وبدء التسمية مرتبط بنشأة الفرق؛ لأن من الطبيعي أن يتميز أهل السُّنة عن بقية أهل الأهواء من أهل الفِرَق الذين انحرفوا عن المنهج السوي والذين ابتدعوا أقوالاً وآراء مخالفة لما كان عليه أهل الصدر الأول.

والكلام حول بدء الفتنة ونشوء الفرق يطول، ولكن نشير إلى لمحات في هذا الأمر لنصل إلى حقيقة تميز أهل السُّنة عن غيرهم:

١ - من المعلوم أن الفتنة وقعت في آخر عهد عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وكان من آثارها استشهاده، ثم نشأت على إثر ذلك الفرق، وكانت أول بدعة نشأت بدعة الخوارج والروافض، فالخوارج كفَّروا علياً - رضي الله عنه - وخرجوا عليه، والروافض ادَّعوا إمامته وعصمته، أو نبوته أو إلهيته.

ثم بعد ذلك أخذت البدع تتوالى في الظهور فـ (لما كان في آخر عصر الصحابة في إمارة ابن الزبير وعبد الملك حدثت بدعة المرجئة والقدرية، ثم لما كان في أول عصر التابعين في أواخر الخلافة الأموية حدثت بدعة الجهمية والمشبهة والممثلة، ولم يكن على عهد الصحابة شيء من ذلك)[1].

٢ - كانت بدعتا الروافض والخوارج من أول البدع ظهوراً كما سبق البيان، وكانتا من المعالم الرئيسة في تميز أهل السُّنة والجماعة أو أهل الحديث:

أ) ففي أجواء هذه الفتنة بدأ المسلمون يُعنَون بالبحث عن الإسناد، والكلام في الرجال؛ وذلك لأن السلف خافوا من الكذب على رسول الله ﷺ، وخاصة أن دواعي ذلك موجودة في مثل هذه الظروف؛ فقد روى الإمام مسلم في مقدمة صحيحه عن ابن سيرين

---

(١) المنتقى: (ص ٣٨٧).

أنه قال: (لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سمُّوا لنا رجالكم، فينظَر إلى أهل السُّنة فيؤخَذ حديثهم، وينظَر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم)[1]، وابن سيرين كان يقول: (إن هذا الحديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم)[2].

وهنا بدأ التميز لأهل السُّنة والجماعة، وذلك بتمييز مَنْ تُقبَل روايته ممن لا تُقبَل؛ فمن كان من أهل السُّنة والاتباع ولم يقل بقول طائفة من الطوائف المنحرفة بل ثبت على الهدي الصحيح، هدي الصحابة والتابعين، فهذا له تميز عند علماء الحديث، وروايته مقبولة - مع الاعتراف بتفاوت الرجال الذين لهم هذه الصفة من ناحية الحفظ والضبط - وأما من كان من أهل البدعة فروايته مردودة إلا بشروط دقيقة[3].

ومما يلاحظ أن الكذب قد اشتهر عند الرافضة، ولذلك قال عنهم الإمام الشافعي- رحمه الله -: (لم أرَ من أهل الأهواء أشهد بالزور من الرافضة)[4]، ولما وقعت فتنة المختار ذي الميول الشيعية[5] اشتهر في زمنه الكذب ووضع الحديث على رسول الله ﷺ؛ ولهذا روى الإمام أحمد عن جابر بن نوح عن الأعمش عن إبراهيم [النخعي] قال: (إنما سئل عن الإسناد أيام

---

(١) صحيح مسلم، المقدمة: (ص ١٥)، وانظر: الكفاية: (ص ١٦٢ - ١٦٣) هندية، وشرح علل الترمذي: (١/ ٥١).

(٢) الكفاية: (ص ١٦٢).

(٣) حكم الرواية عن أهل البدع تكلم عنها العلماء: انظر: الكفاية: (ص ١٥٩) وما بعدها، وشرح علل الترمذي: (١/ ٥٣) وما بعدها، وتدريب الراوي: (١/ ٣٢٤) وما بعدها.

(٤) الكفاية: (ص ١٦٧)، وقال يزيد بن هارون [توفي سنة: ٢٦ هـ] سير أعلام النبلاء: ٩/ ٣٥٨: (يكتب عن كل مبتدع -- إذا لم يكن داعية - إلا الرافضة فإنهم يكذبون): (المنتقى ص ٢٢).

(٥) من العجيب أن هذا الكذاب كان أول أمره ناصبياً، فأبغضته الشيعة، ثم تشيع. انظر ترجمته في البداية والنهاية: (٨/ ٢٨٩ - ٢٩٢)، وانظر سير أعلام النبلاء: (٣/ ٥٣٨)، وميزان الاعتدال: (٤/ ٨٠)، وكان المختار يزعم أنه يوحى إليه. انظر: المسند للإمام أحمد: (٥/ ٢٢٣ - ٢٢٤) قتل المختار سنة: ٦٧ هـ.

المختار)[1]، والمختار نفسه كان يأمر بأن توضع له الأحاديث المكذوبة؛ فقد أمر رجلاً - من أصحاب الحديث - قائلاً: (ضع لي حديثاً عن النبي ﷺ أني كائن بعده خليفة)، فرفض الرجل[2]، بل أمر محمد بن عمار بن ياسر أن يحدث عن أبيه بحديث كذب فأبى فقتله[3]؛ ولذلك فشا الكذب في عهده، كما روى شريك عن أبي إسحاق: سمعت خزيمة بن نصر العبسي أيام المختار وهم يقولون ما يقولون من الكذب - وكان من أصحاب علي - قال: (ما لهم قاتلهم الله، أي عصابة شانوا وأي حديث أفسدوا)[4]. وإذا كان الرافضة أهل كذب فقد ضموا إليه الطعن في أصحاب رسول الله ﷺ ورميهم بالكفر والردة إلا أعداداً قليلة.

وليس الغرض استقصاء هذه الأمور فالموضوع فيها طويل، ولكن نشير هنا إلى أن تميز أهل السُّنة واكب ظهور الرافضة من جهتين:

الأولى: انتشار الكذب عندهم[5]، مما أثار علماء السُّنة للبحث عن الرجال والأسانيد، فبدأ بتميز أهل الحديث عن غيرهم، وسبق أن ذكرنا أقوال العلماء بأن الفرقة الناجية هم أهل الحديث.

الثانية: طعنهم في الصحابة، ونشوء البدع وكثرتها لديهم، حتى أصبح شعار (أهل السُّنة) كثيراً ما يستعمل في مقابل الرافضة، وسفيان الثوري- رحمه الله - فسر

---

(١) شرح علل الترمذي: (١/ ٥٢)، ورواه الخطيب في الجامع عن خثيمة بن عبد الرحمن. (الجامع: ١/ ١٣٠) تحقيق: الطحان.

(٢) التاريخ الكبير للبخاري: (٨/ ٤٣٤ - ٤٣٥)، والصغير: (١/ ٤٧)، والموضوعات لابن الجوزي: (١/ ٣٩).

(٣) الجامع للخطيب: (١/ ١٣١)، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم: (٨/ ٤٣).

(٤) رواه البيهقي في المدخل، رقم: (٨٣)، وانظر علل الترمذي: (١/ ٥٢).

(٥) بل الكذب أحد أصولهم؛ وذلك في ما يسمى (التقية) عندهم.

موافقة السُّنة بـ (تقدمة الشيخين أبي بكر وعمر، رضي الله عنهما)[1].

ب) وفي مقابل فتنة الروافض جاءت فتنة الخوارج. والذي يلاحظ أن الخوارج اشتُهِر عنهم الصدق، ولعل مردَّ ذلك إلى اعتقادهم أن مرتكب الكبيرة كافر، والكذب كبيرة من الكبائر، ولهذا روي عن أبي داود سليمان بن الأشعث أنه قال: (ليس في أصحاب الأهواء أصح حديثاً من الخوارج)[2]؛ ولذلك روى البخاري وغيره عن دعاتهم، ولكن صدقهم وحماستهم لم يكن حائلاً دون أن تكون فتنتهم وضلالهم شديدة الوطأة على المسلمين؛ لأنهم كفَّروا من عداهم، و لم يكتفوا بذلك، بل ميزوا صفوفهم عن صفوف غيرهم من المسلمين، وحاربوا وقاتلوا، فصارت بدعتهم وانحرافهم أشد من غيرها، ولذلك قاتلهم علي - رضي الله عنه - وأجمع الصحابة على قتالهم.

فالخوارج خرجوا على الجماعة الذين لهم إمام شرعي، ومع ظهور فتنة هؤلاء برز أهل السُّنة بحرصهم على الجماعة وعدم الخروج على الإمام الشرعي (ولو كان جائراً) وصاروا يذكرون هذا الاعتقاد ويدعون إليه ويحذرون من مخالفته، وحرص المسلمون

---

(١) شرح السُّنة للالكائي: (١/ ١٥٢)، ومما يلاحظ أن سفيان الثوري في اعتقاده هذا الذي سأله عنه شعيب بن حرب لما ذكر بعض أمور الاعتقاد التي تميز أهل السُّنة ذكر مسألة المسح على الخفين وعدم الجهر بالبسملة؛ مع أن مسألة الجهر بالبسملة من المسائل الفرعية التي وقع فيها الخلاف بين أهل السُّنة. وقد علل ذلك ابن تيمية في منهاج السُّنة: (٢/ ١٨٤)، ط مكتبة الرياض الحديثة، بقوله: (حتى إن سفيان الثوري وغيره من الأئمة يذكرون في عقائدهم ترك الجهر بالبسملة؛ لأنه كان عندهم من شعار الرافضة. ويذكرون المسح على الخفين؛ لأن تركه عندهم من شعار الرافضة).

(٢) الكفاية: (ص١٧٢، ١٧٣) هندية - ولكن وردت روايات في أن الخوارج ربما يضعون الأحاديث؛ فقد روي عن أحد شيوخهم أنه قال: (إن هذه الأحاديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم فإنا كنا إذا هوينا أمراً صيرناه حديثاً). (رواه الرامهرمزي في المحدث الفاصل ص ٤١٥ - ٤١٦)، والخطيب في الكفاية: (ص١٦٣) هندية، وابن الجوزي في الموضوعات: (١/ ٣٨ - ٣٩)، وانظر مناقشة الموضوع بشكل موسع في كتاب: (الوضع في الحديث: (١/ ٢٢٩ - ٢٣٨)؛ حيث رجَّح الدكتور عمر فلاتة في رسالته هذه أن الخوارج ليس لهم دور في الوضع في الحديث.

على الجماعة ونبذ الفرقة، ولما اجتمعوا على معاوية - رضي الله عنه - سنة إحدى وأربعين بعد تنازُل الحسن - رضي الله عنه - سَمُّوا هذا العام عام الجماعة.

فظهور بدعة الخوارج ميزت أهل السُّنة من جانبين:

الأول: خروج الخوارج عن المذهب الحق بالتكفير لمن عداهم من المسلمين، ولا شك أن هذه بدعة شنيعة، وقد حرص المسلمون على الرد على أصحابها، وتحذير الناس أشد التحذير منهم. وصار من معالم مذهب أهل السُّنة عدم التكفير لمرتكب الكبيرة.

والثاني: خروجهم على الجماعة وعلى الإمام الشرعي وقتالهم للمسلمين بناء على أصل مذهبهم التكفير، وقد قابل أهل السُّنة هذا بمقاتلتهم حتى يقضى عليهم أو يكفوا شرهم، وبالتحذير منهم وإعلان وجوب اتباع النصوص التي حذرت من الخروج على أئمة المسلمين وإن جاروا وظلموا؛ ولذا كان أحد المعاني المهمة للجماعة أنها الجماعة الذين اجتمعوا على أمير.

٣ - بعد ظهور فتنة الروافض والخوارج أخذت بقية البدع تظهر بين المسلمين كبدعة القدر، والإرجاء، والتجهم، فقاومها أهل السُّنة وحذروا منها ومن أصحابها، حتى صار أهل البدع نشازاً في المجتمع الإسلامي يأوي إليهم ويسمع أقوالهم إما أهل الزندقة والنفاق، ممن يكيدون لهذا الدين في الخفاء، وإما أصحاب الإيمان الضعيف ممن تؤثر فيهم وتستهويهم هذه البدع وما فيها من آراء وأفكار جديدة على المسلمين. أما السواد الأعظم من المسلمين فإنهم يتبعون علماء الآفاق من أهل السُّنة في كل مكان.

وحذر علماء أهل السُّنة من أصحاب الأهواء، حتى كان الحسن يقول: (لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم)[1]، ولما جاءه رجل فقال: «يا أبا سعيد إني

---

(١) شرح السُّنة للالكائي، رقم: (٢٤٠)، ورواه الدارمي في السنن، رقم: (٤٠٧)، ط اليماني، عن الحسن وابن سرين.

أريد أن أخاصمك)، فقال الحسن: (إليك عني فإني قد عرفت ديني، وإنما يخاصمك الشاك في دينه)[1]. واستمر تحذير العلماء من أهل الكلام والبدع، وصار مذهب أهل السُّنة متميزاً بالاتباع والسير على منهاج الصحابة - رضي الله عنهم - مع البعد عن أهل البدع والإنكار عليهم فصار لقب أهل السُّنة مقابل: أهل البدع والأهواء والكلام.

ولما وقعت محنة القول بخلق القرآن وصار للمعتزلة دولة وصولة امتُحِن أهل السُّنة وثبَّت الله الإمام أحمد - رحمه الله - فصار وقوفه وثباته مثالاً شامخاً للثبات على مذهب أهل السُّنة في مقابل أهل البدعة، فصار الإمام أحمد إمام أهل السُّنة لذلك.

هذه خطوط عريضة لعلها تكون قد أوضحت كيف نشأت التسمية بأهل السُّنة والجماعة، أو أهل الحديث، وإن ذلك كان مع ظهور البدع ونشوء الفرق، وما صاحب ذلك من الاستهانة بحديث رسول الله ﷺ وبِنَقَلَتِه من الصحابة، فبدأ أهل السُّنة يعلنون تميزهم من خلال:

١ - العناية بالحديث رواية ودراية، والكلام في الرجال، والسبب في ذلك نشوء الكذب مع كثرة أهل الأهواء.

٢ - المحافظة على السُّنة وعلى ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، من غير ابتداع في الدين أو اتباع لأهل الأهواء والكلام المذموم على اختلاف مذاهبهم وأقوالهم.

٣ - المحافظة على الجماعة التي تعني الاتباع والسير على المنهج الحق، وتعني أيضاً المحافظة على وحدة الأمة وعدم الخروج على الجماعة التي لها إمام شرعي.

أما التحديد الدقيق لنشأة التسمية بأهل السُّنة والجماعة، وربط ذلك بزمن محدد أو بعلم من أعلام أهل السُّنة، أو نشوء فرقة من الفرق، فلا أظن أن ذلك ممكن إلا من خلال خطوط عريضة كما أسلفنا، والله أعلم.

---

(١) شرح السُّنة، رقم: (٢١٥)، والآجري في الشريعة: (ص ٥٧) بلفظ مقارب.



سنعرض في هذا المبحث بشكل مختصر لمنهج السلف في العقيدة، وتميُّزهم بهذا عن غيرهم من أهل البدع والأهواء، وهذا الموضوع قد كُتِب حوله الكثير، ولكن أغلب ما كتب جاء مقدمة لبعض النصوص المحققة في عقيدة أهل السُّنة، أو لبعض البحوث المتعلقة بجانب من جوانبها، وكان من الواجب أن يفرد برسالة جامعة تستقصي ما يتعلق بهذا الموضوع، وتبيِّن الشبهات المثارة حول مذهب السلف، وترد عليها، كما ترد على دعاوى المنتسبين إليها ممن ليس من أهلها أو ممن انحرف عنها. وعلى حد علمي لم يكتب في ذلك رسالة[1].

والكتابة حول هذا الموضوع من خلال التمهيد لهذا البحث المتعلق بموقف ابن تيمية من الأشاعرة لا يمكن التوسع فيها إلا من خلال ما يتعلق بالموضوع، وقد ناقش ابن تيمية - رحمه الله - كثيراً من الأشاعرة في هذه المسألة، وبين غلطهم في بعض القضايا

(١) في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة سُجلَت رسالة بعنوان: العقيدة السلفية في مسيرتها التاريخية وقدرتها على مواجهة التحديات. للباحث محمد المغراوي.

المتعلقة بحقيقة مذهب السلف أو بحقيقة منهجهم - رحمهم الله - وسنشير إلى ذلك في موضعه من هذه الرسالة، إن شاء الله.

أما هنا فسنذكر لمحات في هذا الموضوع تكملة للمبحثين السابقين، والشيء الواضح في هذا أن السلف تميزوا عن أصحاب الأهواء والفرق بميزة الرجوع إلى الكتاب والسُّنة والاعتصام بهما، وبذلك سلموا من الانحراف، أما من عداهم فلا بد أن تجد في انحرافهم أو بدعهم ما كان سببه وقوعهم في مخالفة أمر الله وأمر رسوله ﷺ، أو ارتكاب ما نهى عنه الله ورسوله ﷺ، ومن أمثلة ذلك:

• نهى الله - تعالى - ورسوله ﷺ عن اتباع المتشابه، فجاءت فِرَق عديدة تتبع ما تشابه من القرآن، وتضرب كتاب الله بعضه ببعض.

• نهى الرسول ﷺ عن سب الصحابة وبين فضلهم، فجاءت فرق الرافضة وغيرهم لتسب الصحابة - رضي الله عنهم - وتنتقص من شأنهم.

• أمر الرسول ﷺ بطاعة الأمير (وإن جار أو ظلم) فجاءت الخوارج ليخرجوا على أئمة المسلمين ويثيروا الفتنة بين المسلمين.

• نهى الرسول ﷺ عن الخوض في القدر، فجاءت القدرية وغيرهم ليخوضوا فيه بالباطل.

• أمر الرسول ﷺ باتباع سنته، وأخبر أنه سيأتي أناس من أمته لا يحتجُّون بسنته، ونشأ بعد ذلك من لا يحتج بخبر الآحاد في العقيدة.

• وأمر الرسول ﷺ باتباع سنته وسُنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، فجاء أقوام يضربون بأقوالهم عرض الحائط ويقولون: نحن رجال وهم رجال.

• وأخبر النبي ﷺ - وهو الصادق المصدوق - أن هذه الأمة ستفترق إلى فرق عديدة، وذكر أن هناك فرقة هي الفرقة الناجية، وهي الطائفة المنصورة، ثم وُجِد بعد ذلك من يتزعم الفرق الضالة، أو يتبعها ويترك الاعتصام بالسُّنة وما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ومن تبعهم بإحسان.

والسلف الذين لم يخوضوا في شيء مما خاض فيه أهل الأهواء، استقام أمرهم لموافقتهم الكتاب والسُّنة، ولوعيهم - خاصة أثناء وقوع الفتن وانتشار البدع - وتذكرهم لمثل هذه النصوص التي حذر فيها المصطفى ﷺ أمته من الوقوع فيما نهى عنه.

وسنعرض لمنهج السلف من خلال مايلي:

أولاً: منهج السلف في العقيدة.

ثانياً: المميزات التي تميزوا بها عن غيرهم.

أولاً: منهج السلف في العقيدة:

أولاً: أول قاعدة في منهج السلف، هي اقتصارهم في مصدر التلقي على الوحي: كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ الصحيحة، وقد تمثلت هذه القاعدة في عدة ركائز:

١ - الاعتقاد الجازم أنه لا يتحقق رضى الله - تبارك وتعالى - والفوز بجنته والنجاة من عذابه إلا بالإيمان بهما والعمل بما جاءا به، وما يترتب على هذا من وجوب أن يعيش المسلم حياته كلها اعتقاداً وعملاً وسلوكاً، مستمسكاً ومعتصماً بهما، لا يزيغ عنهما ولا يتعدى حدودهما. ومن مستلزمات هذا أن يتحاكم إليهما عند التنازع والاختلاف. قال - تعالى -: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: ٥٩]، وقال - تعالى -: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[النساء:٦٥] ولقد تربى الصحابة على ذلك، فعاشوا لا يلتفتون إلى غير الكتاب والسُّنة، وكان رسول الله ﷺ يحذرهم كل التحذير من أن يلتفتوا إلى كتب السابقين التي نزلت على الأنبياء ثم دخلها التحريف، فضلاً عن غيرها من كتب الفلاسفة والملاحدة؛ فقد روى عبد الله بن ثابت قال: «جاء عمر بن الخطاب إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني مررت بأخ لي من قريظة فكتب لي جوامع من التوارة ألا أعرضها عليك. قال: فتغير وجه رسول الله ﷺ. قال عبد الله: فقلت له: ألا ترى ما بوجه رسول الله ﷺ، فقال عمر: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً. قال: فسري عن النبي ﷺ، ثم قال: والذي نفسي! بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم، إنكم حظي من

الأمم، وأنا حظكم من النبيين»[1]، وفي رواية جابر أنه قال لما غضب على عمر: «أمتهوّكون[2] فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده! لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده! لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني»[3]، وقد طبق هذا عمر - رضي الله عنه - عملياً، فقد ضرب رجلاً من عبد القيس لأنه انتسخ أحد الكتب السابقة وأمره بمحوه[4].

والاستغناء بالكتاب والسُّنة والاعتماد عليهما نابع من اليقين القاطع بأن ما جاءا به فهو حق وصدق. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأما خبر الله ورسوله فهو صدق، موافق لما الأمر عليه في نفسه، لا يجوز أن يكون شيء من أخباره باطلاً ولا مخالفاً لما عليه في نفسه، ويعلم من حيث الجملة أن كلَّ ما عارض شيئاً من أخباره وناقضه فإنه باطل من جنس حجج السوفسطائية[5]، وإن كان العالم بذلك لا يعلم وجه بطلان تلك الحجج

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده: (٣/ ٤٧٠ - ٤٧١)، وعبد الرزاق الصنعاني في المصنف: (٦/ ١١٣) ورقمه: (١٠١٦٤).

(٢) أي: أمتحيرون، هكذا فسره الحسن وأبو قلابة في شعب الإيمان للبيهقي: (١/ ٤٨١) والمراسيل: (ص ٢٢٤).

(٣) رواه الإمام أحمد: (٣/ ٣٨٧)، والدارمي في سننه، باب ما يتقى من تفسير حديث النبي ﷺ: (١/ ٩٥) ورقمه: (٤٤١)، والبيهقي في شعب الإيمان: (١/ ٤٧٩)، ط الدار السلفية في الهند. وهذا الحديث رواه أبو داود في المراسيل عن أبي قلابة في كتاب العلم: (ص ٢٢٣) ت، السيروان كما رواه ابن أبي حاتم مختصراً كما في تفسر ابن كثير: (سورة يوسف: ٣). وانظر التعليق القادم.

(٤) ثم ذكر عمر قصته مع النبي ﷺ. رواه أبو يعلى الموصلي، وأبو بكر الإسماعيلي، كما نقله عنهما ابن كثير في تفسيره: (سورة يوسف: ٣). والحديث حسنه الألباني كما في تخريج المشكاة رقم: (١٩٤، ١٧٧)

(٥) السوفسطائية: السفسطة: قياس مركب من الوهميات، والغرض منه تغليط الخصم وإسكاته، والسوفسطائيون: جماعة من فلاسفة اليونان، وزعيمهم بروتاغوراس الذي ولد سنة: (٤٨٠ ق. م). ونظريتهم تقوم على أنه ليس هناك وجود خارجي مستقل عما في أذهاننا، فما يظهر للشخص أنه الحقيقة يكون هو الحقيقة له، فإذا رأى السراب ماءً فهو عنده حقيقة ماء. انظر: التعريفات: (ص٦٣)، وكشاف=

المعارضة لأخباره، وهذه حال المؤمنين للرسول الذين علموا أن رسول اللة الصادق فيما يخبر به، ويعلمون من حيث الجملة أن ما ناقض خبره فهو باطل، وأنه لا يجوز أن يعارض خبره دليل صحيح لا عقلي ولا سمعي)[1]. ويقول: (وما أحد شذَّ بقول فاسد عن الجمهور إلا وفي الكتاب والسُّنة ما يبين فساد قوله، وإن كان القائل كثيراً. . . وأما القول الذي يدل عليه الكتاب والسُّنة فلا يكون شاذاً وإن [كان][2] القائل به أقل من القائل بذاك القول، فلا عبرة بكثرة القائل باتفاق الناس)[3].

٢ - أن هذا الدين كامل: فالله - تبارك وتعالى - يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْأِسْلامَ دِيناً ﴾ [المائدة: ٣]، ويقول أيضاً: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٩٨]، وقال كذلك: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[المائدة:٦١]. يقول ابن تيمية بعد ذكره لهذه الآيات وغيرها: (ومثل هذا في القرآن كثير، مما يبين الله فيه أن كتابه مبيِّن للدين كله، موضح لسبيل الهدى، كافٍ لمن اتبعه، لا يحتاج معه إلى غيره يجب اتباعه دون اتباع غيره من السبل)[4]، ومسألة كمال الدين من المسائل المهمة في بيان منهج السلف - رحمهم الله تعالى- فقد انطلقوا بقوة من هذا المنطلق، وهذا لا يعني أنه لم يكن في عهد الصحابة

= اصطلاح الفنون: (١٧٣١٣)، وقصة الفلسفة اليونانية: (ص ٦٢ - ٧٢)، وربيع الفكر اليوناني: (ص ٦٥)، والمعجم الفلسفي: (١/ ٦٥٨).

(١) درء تعارض العقل والنقل: (٥/ ٢٥٥).

(٢) في طبعة النبوات لدار الكتب العلمية: (ص ٤ ٠ ٢)، ودار الفكر: (ص ٣٨ ١) بدون (كان)، والسياق يقتضيها.

(٣) النبوات: (ص ٢٠٤)، ط دار الكتب العلمية.

(٤) درء تعارض العقل والنقل: (١٠/ ٣٠٤).

ومن بعدهم ديانات ومذاهب، بل كانت موجودة، لكن من الذي يلتفت إليها وهو مقتنع تمام الاقتناع بكمال ما لديه من كتاب وسُنة وأن فيهما ما يغني ويكفي، وأن ما فيهما حق وصدق لا يأتيه الباطل أبداً؛ فـ(متى ذكرت ألفاظ القرآن والحديث وبين معناها بياناً شافياً فإنها تنظم[1] جميع ما يقوله الناس من المعاني الصحيحة، وفيها زيادات عظيمة لا توجد في كلام الناس، وهي محفوظة مما دخل في الكلام من الباطل كما قال - تعالى -: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[الحجر:٩]، وقال - تعالى -: ﴿**لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾[فصلت:٤٢،١٤]، وقال - تعالى -: ﴿**الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾ [هود: ١]، وقال - تعالى -: ﴿**تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ**﴾[لقمان:٢]، وفيه من دلائل الربوبية والنبوة والمعاد ما لا يوجد في كلام أحد من العباد، ففيه أصول الدين المفيدة لليقين، وهو أصول دين الله لا أصول دين محدَث ورأي مبتدع)[2].

٣ - وجوب تقديم الشرع على العقل عند توهم التعارض: وإلا ففي الحقيقة والواقع لا يمكن أن يتعارض النقل الصحيح مع العقل الصريح، ولقد كان تقديم ما في كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ على ما في غيرهما من معقول أو غيره يعارضها من مسلمات منهج السلف، رحمهم الله تعالى.

وليس هذا موضع تفصيل الأدلة لذلك، ولكن نشير إلى أن الأنبياء أعلم بالله وأسمائه وصفاته واليوم الآخر من غيرهم فيجب رد الأمر إليهم، كما أن العامة يردون ما يختلفون فيه مما يتعلق بالطب وغيره من أمور الدنيا إلى من هو أعلم به منهم، (وإذا كان الأمر كذلك فإذا علم الإنسان بالعقل أن هذا رسول الله، وعلم أنه أخبر بشيء،

---

(١) في الأصل: (فإنها لا تنظم)، ط دار الكتب العلمية، وكذا في مصورة دار الفكر، (ص ٢٢١)، ولعل الصواب حذف (لا).

(٢) النبوات: (ص ٣٣٤)، ط دار الكتب العلمية.

ووجد في عقله ما ينازعه في خبره، كان عقله يوجب عليه أن يُسلِم موارد النزاع إلى من هو أعلم به منه، وأن لا يقدم رأيه على قوله، ويعلم أن عقله قاصر بالنسبة إليه، وأنه أعلم بالله وأسمائه وصفاته واليوم الآخر منه، وأن التفاوت الذي بينهما في العلم بذلك أعظم من التفاوت الذي بين العامة وأهل العلم بالطب)[1].

٤ - الأدب مع نصوص الكتاب والسُّنة، وذلك بأن تُراعى ألفاظهما عند بيان العقيدة، وأن لا تُستَخدَم الألفاظ والمصطلحات الموهمة غير الشرعية، فـ (أهل السُّنة والحديث فيهم رعاية النصوص لألفاظ النصوص وألفاظ السلف)[2].

ثانياً: عدم الخوض في علم الكلام والفلسفة، والاقتصار في بيان وفهم العقيدة على ما في الكتاب والسُّنة، وقد تجلى هذا في منهج السلف من خلال عدة أمور، منها:

١ - الحرص على العلم النافع مع العمل: فالعلم علمان: علم نافع يولد عملاً، وينفع صاحبه في الدنيا والآخرة، وعلم غير نافع، لا ينفع صاحبه في الدنيا، أو لا ينفع صاحبه في الآخرة (ولذلك جاءت السُّنة بتقسيم العلم إلى نافع وغير نافع، والاستعاذة من العلم الذي لا ينفع، وسؤال العلم النافع؛ ففي صحيح مسلم عن زيد بن أرقم أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم! إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها»[3])[4]. وقال معروف الكرخي[5]: (إذا أراد الله بعبد خيراً فتح له باب العمل،

---

(١) درء تعارض العقل والنقل: (١/ ١٤١)، وانظر: قواعد المنهج السلفي مصطفى حلمي: (ص ٢٥٣ - ٢٥٧)، ط ثانية.

(٢) نقض التأسيس المطبوع: (٢/ ١١٠).

(٣) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، ورقمه: (٢٧٢٢).

(٤) بيان فضل علم السلف على علم الخلف لابن رجب: (ص ١٧)، ط دار الأرقم.

(٥) هو معروف بن فيروز أو فيرزان، أبو محفوظ البغدادي الكرخي، أحد الزهاد، مدحه الإمام أحمد. =

وأغلق عنه باب الجدل وإذا أراد الله بعبد شراً أغلق عنه باب العمل وفتح له باب الجدل)[1].

وللعلم النافع علامات ذكرها بعض العلماء[2].

٢ - النهي عن البدع: ومن ذلك علم الكلام، وقد كان موقف السلف واضحاً ومشهوراً من علم الكلام؛ فقصة عمر - رضي الله عنه - مع صبيغ ابن عسل[3] لما علم أنه يتتبع متشابه الكلام ويسأل عنه، فضربه عمر ونفاه إلى البصرة، قصة مشهورة[4]، لذلك لما حدث يزيد بن هارون بحديث الرؤية، فقال له رجل: يا أبا خالد، ما معنى هذا الحديث؟ فغضب وحرد[5] وقال: ما أشبهك بصبيغ وأحوجك إلى مثل ما فُعِل به[6].

وعمر - رضي الله عنه - روي عنه أنه قال: (إنه سيأتي أناس يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله)[7].

= انظر ترجمته في: مناقب معروف الكرخي وأخباره لابن الجوزي، وتاريخ بغداد: (١٣/ ١٩٩) وطبقات الحنابلة: (١/ ٣٨١)، وسير أعلام النبلاء: (٩/ ٣٣٥).

(١) رواه أبو نعيم في الحلية: (٨/ ٣٦١)، وابن الجوزي في مناقب معروف الكرخي: (ص ١٢٢ - ١٢٣).

(٢) انظر - مثلاً -: بيان فضل علم السلف على الخلف: (ص ٥١ - ٥٤).

(٣) هو صَبيغ بن شريك بن المنذر بن قشع بن عسل التميمي، ويقال: صبيغ بن عسل، نسبة إلى جده. ترجمته في: الإكمال لابن ماكولا: (٥/ ٦، ٢٢١/ ٢٠٦ - ٢٠٨)، والإصابة: (٣/ ٤٥٨)، ترجمة رقم: (٤١٢٧)، وتبصير المنتبه: (٣/ ٩٥٤)، والوافي في الوفيات: (١٦/ ٣٨٣).

(٤) رواها: الدارمي في سننه، رقم: (١٤٦)، والآجري في الشريعة: (ص ٧٣)، واللالكائي في شرح السُّنة، رقم: (١٣٦ - ١٤٠)، والصابوني في عقيدة السلف، رقم: (٨٣ - ٨٥)، تحقيق: بدر البدر، ورواها غيرهم. انظر: الإصابة: (٣/ ٤٥٨)، رقم الترجمة: (٤١٢٧) ت البجاوي، والدر المنثور للسيوطي. أول سورة الذاريات.

(٥) (حرد): أي غضب واغتاظ وهمَّ به. انظر: الصحاح، والمعجم الوسيط، مادة: (حرد).

(٦) عقيدة السلف للصابوني، رقم: (٨٢).

(٧) رواه الدارمي، رقم: (١٢١)، واللالكائي، رقم: (٢٠٢)، والآجري في الشريعة: (ص ٥٢).

وقد استمر السلف على هذا المنهج من التحذير من البدع وعلم الكلام وما عليه أهل الأهواء؛ فالشافعي أُثِر عنه الكثير في التحذير من أهل الكلام حتى قال: (لأن يلقى اللهَ العبدُ بكل ذنب ما خلا الشرك أحب إليَّ من أن يلقاه بشيء من الأهواء)[1]، والإمام أحمد - رحمه الله - يقول في رسالته (الثابتة عنه) إلى عبد الله بن يحيى بن خاقان لما طلب منه المتوكل أن يكتب له حول مسألة (خلق القرآن): (وقد روى غير واحد ممن مضى من سلفنا - رحمهم الله - أنهم كانوا يقولون: القرآن كلام الله - عز وجل - وليس بمخلوق، وهو الذي أذهبُ إليه، ولست بصاحب كلام ولا أرى الكلام في شيء من هنا، إلا ما كان في كتاب الله - عز وجل - أو في حديث النبي ﷺ أو عن أصحابه أو عن التابعين، فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود)[2].

واشتهر هذا الموقف من علم الكلام ومن المنطق عن أعلام السلف - رحمهم الله - وصارت دواوين السُّنة تذكر كثيراً من الآثار عنهم في موقفهم هذا، بل وصل الأمر في إحدى الحالات أن النساخ كانوا يقسمون أنهم لم ينسخوا كتاباً في المنطق[3].

---

(١) رواه البيهقي في مناقب الشافعي: (١/ ٤٥٢)، وفي الاعتقاد: (ص ٣٩)، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، وأبو نعيم في الحلية: (٩/ ١١١)، وابن عساكر في تبيين كذب المفتري: (ص ٣٣٧)، واللالكائي في شرح السُّنة، رقم: (٣٠٠)، وابن أبي حاتم: كما في توالي التأسيس لابن حجر: (ص١١٠).

(٢) السُّنة لعبد الله بن الإمام أحمد: (١/ ١٣٩ - ١٤٠)، وأبو نعيم في الحلية: (٩/ ٢١٦)، وابن الجوزي في المناقب: (ص ٤٦٢) باختصار، والذهبي في تاريخ الإسلام: (ترجمة الإمام أحمد مفردة، ط: دار الوعي بحلب)، (ص ٧٠ - ٧١)، وقال الذهبي في آخرها: (قلت: رواة هذه الرسالة عن أحمد أئمة أثبات أشهد بالله أنه أملاها على ولده)، وذكرها في سير أعلام النبلاء: (١١/ ٢٨٦)، وقال: (إسنادها كالشمس).

(٣) انظر: الكامل لابن الأثير حوادث سنة: ٢٧٩: (٧/ ٤٥٣) دار صادر.

وموقف السلف من علم الكلام كان لأسباب[1]، وليس لأنهم عجزوا أو جهلوا أو شغلوا عنه كما يحلو لبعضهم أن يفسر ذلك، ولا شك أن منهج علم الكلام يقوم على أسس غريبة على المنهج الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه. وأية محاولة للعودة بالمسلمين إلى الإسلام فلا بد أن تكون أُولَى مسلماتها العودة إلى صفاء العقيدة وتخليصها مما ران عليها من شوائب علم الكلام والفلسفة. يقول سيد قطب - رحمه الله - في معرض كلامه عن المنهج الذي يراه في العقيدة: (ولما كانت هناك جفوة أصيلة بين منهج الفلسفة ومنهج العقيدة، وبين أسلوب الفلسفة وأسلوب العقيدة، وبين الحقائق الإيمانية الإسلامية وتلك المحاولات الصغيرة المضطربة المفتعلة التي تتضمنها الفلسفات والمباحث اللاهوتية البشرية... فقد بدت (الفلسفة الإسلامية) - كما سميت - نشازاً كاملاً في لحن العقيدة المتناسق، ونشأ من هذه المحاولات تخليط كثير، شاب صفاء التصور الإسلامي، وصغر مساحته، وأصابه بالسطحية، ذلك مع التعقيد والجفاف والتخليط، مما جعل تلك الفلسفة الإسلامية ومعها مباحث علم الكلام غريبة غربة كاملة على الإسلام وطبيعته، وحقيقته، ومنهجه وأسلوبه).

(وأنا أعلم أن هذا الكلام سيقابل بالدهشة على الأقل؛ سواء من كثير من المشتغلين عندنا بما يسمى (الفلسفة الإسلامية) أو من المشتغلين بالمباحث الفلسفية بصفة عامة... ولكني أقرر - وأنا على يقين جازم - بأن (التصور الإسلامي) لن يخلص من التشويه والانحراف والمسخ إلا حين نلقي عنه جملة بكل ما أطلق عليه اسم الفلسفة الإسلامية، وبكل مباحث علم الكلام، وبكل ما ثار من الجدل بين الفرق الإسلامية المختلفة في شتى العصور أيضاً، ثم نعود إلى القرآن الكريم)[2].

---

(١) انظر: بيان فضل علم السلف لابن رجب: (ص ٥٥ - ٥٨)، ومنهج علماء الحديث والسُّنة مصطفى حلمي: (ص ٦٠ - ٦١)، ومنطق ابن تيمية: (ص ٢٧٧).

(٢) خصائص التصور الإسلامي: كلمة في المنهج: (ص١١٠).

٣ - الرد على المنحرفين وأصحاب الأهواء بمنهج متميز: فالسلف - رحمهم الله - لما حذروا من المنطق ومن علم الكلام لم يكتفوا بهذا، وإنما ردوا وناقشوا أصحاب البدع بالأدلة النقلية والعقلية المبنية على الكتاب والسُّنة.

والسلف كانوا أصحاب منهج واضح، مقنع، وليس كما يزعم بعض أهل الكلام من أن السلف أو أهل الحديث لا يعرفون الرد ومجادلة الخصوم ويذكرون في ذلك قصة لهارون الرشيد لما منع الجدال في الدين وحبس أهل الكلام، وخلاصتها: أن ملك السِّند بعث يطلب منه أن يرسل إليه من يناظره، فأرسل إليه قاضياً (أو رجلا من أهل الحديث) فعجز عن مناظرته، فغضب الرشيد وسأل مَنْ حوله: (أليس لهذا الدين من يناضل عنه؟ فقيل له: بلى! هم الذين نهيتهم عن الجدال، وفيهم من هو في الحبس. فأحضروهم، وأرسل واحداً منهم إلى ملك السند، فدس له السم قبل وصوله إليه[1]. وهذه قصة باطلة؛ لأن فتح السند وقتل ملكها كان سنة ٩٣ هـ وهارون الرشيد تولى الخلافة سنة ١٧٠ هـ.

وهذه القصة كما يظهر من مصدرها ليس لها سند صحيح، وسياق القصة يدل على الهدف من وضعها، وإذا كان مصدر السلف الأول هو كتاب الله وفيه الحجج والبراهين الدامغة؛ فكيف يخطر على البال أنهم يعجزون عن المناقشة والرد على أهل البدع. أما إن كان القصد المناقشة ببدع وأصول أهل الكلام فلا ريب أن السلف كانوا بعيدين عنها ولا يعرفونها لأنهم في غنى عنها، لكن من عاش منهم مع أهل الكلام ثم رجع إلى

---

(١) المصدر المعروف لهذه القصة التي وردت بعدة روايات، هو كتاب (المُنيَة والأمل) لابن المرتضى المعتزلي: (ص ١٥٥ - ١٥٨) ت: محمد جواد مشكور، وهي في طبعة أرنولد التي أفرد فيها ذكر المعتزلة: (ص ٣١ - ٣٣)، وذكرها النشار في نشأة الفكر الإسلامي: (١/ ٥٠٤ - ٥٠٥)، وردها، وانظر قواعد المنهج السلفي: (ص ٨٠ - ٨٢) الطبعة الثانية.

منهج ومذهب أهل الحديث فهذا قد تكون له خبرة بهم؛ ولذلك قال نعيم بن حماد[1] (الذي امتحن في مسألة القرآن فأبى أن يجيب، فحبس ومات في السجن) عن نفسه: (أنا كنت جهمياً، ولذلك عرفت كلامهم، فلما طلبت الحديث عرفت أن أمرهم يرجع إلى التعطيل)[2].

والسلف - رحمهم الله - لم ينهوا عن جنس النظر والاستدلال، ولكن معارضتهم تركزت على الأساليب الكلامية المبنية على غير الكتاب والسنة[3]. ولذلك روى الآجري عن محمد بن سيرين لَمَّا ماراه[4] رجل في شيء، فقال له محمد: (إني أعلم ما تريد، وأعلم بالمماراة منك ولكني لا أماريك)[5]، فهو لا يريد المماراة والجدل، ولو جادله لجادله بمنهج القرآن والسُّنة لا بمنهج المتكلمين.

وهذا يدل على أن السلف لا يناظرون إلا عند الحاجة، ومناظرتهم لا تكون بمنهج المتكلمين. يقول الآجري: (فإن قال قائل: فإن اضطر في الأمر وقتاً من الأوقات إلى مناظرتهم وإثبات الحجة عليهم، ألا يناظرهم؟، قيل: الاضطرار إنما يكون مع إمام له مذهب سوء، فيمتحن الناس ويدعوهم إلى مذهبه، كفعل من مضى في وقت أحمد بن

---

(١) هو: نعيم بن حماد بن معاوية، أبو عبد الله الخزاعي (ت: ٢٢٨هـ)، طبقات ابن سعد: (٧/ ٥١٩)، وتاريخ بغداد: (١٣ / ٣٠٦)، وتهذيب المزي (المخطوط): (ص ١٤١٩)، وسير أعلام النبلاء: (١٠/ ٥٩٥).

(٢) تاريخ بغداد: (١٣/ ٣٠٧)، وتهذيب المزي: (ص ١٤٢٠)، وسير أعلام النبلاء: (١٠/ ٥٩٧).

(٣) انظر: قواعد المنهج السلفي: مصطفى حلمي: (ص ٨٥)، ومنهج علماء الحديث والسُّنة له: (ص٤٠).

(٤) من المماراة: تقول: ماريت الرجل، أي: جادلته. انظر: الصحاح مادة: (مرا) من حرف الياء، وقد وردت اللفظة في الشريعة وفي طبعتي فضل علم السلف (وماراه) وهو تحريف.

(٥) الشريعة للآجري: (ص ٦١ - ٦٢)، وانظر: بيان فضل علم السلف لابن رجب: (ص ٣٧)، ط دار الأرقم.

حنبل – رحمه الله –: ثلاثة خلفاء امتحنوا الناس، ودعوهم إلى مذهبهم السوء، فلم يجد العلماء بداً من الذب عن الدين، وأرادوا بذلك معرفة العامة الحقَ من الباطل، فناظروهم ضرورة لا اختياراً، فأثبت الله – عز وجل – الحق مع أحمد بن حنبل ومن كان على طريقته، وأذل الله العظيم المعتزلة وفضحهم، وعرفت العامة أن الحق ما كان عليه أحمد ابن حنبل ومن تابعه إلى يوم القيامة)[1].

ثالثاً: حجية السُّنة في العقيدة، ومن ذلك خبر الآحاد:

وهذه من القواعد الكبرى في منهج السلف – رحمهم الله – تميزوا بها عن كثير من أهل الأهواء والبدع، وما عني أهل السُّنة بجمع السُّنة والكلام في متونها وأسانيدها، ونشأة هذا العلم الذي تميزت به الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم، وبذلوا في سبيل ذلك جهوداً منقطعة النظير، كل ذلك إنما كان منهم حفاظاً على المصدر الثاني الذي هو وحي يوحى من الله، تعالى. ولم يميزوا بين الأحاديث المتعلقة بالأحكام والأحاديث المتعلقة بالعقائد.

وقد كان اعتمادهم على السُّنة وتعظيمهم لها مبنياً على أمور، منها:

١ – أن من مقتضيات شهادة أن محمداً رسول الله التي لا يتم الإيمان إلا بها، (ولذلك قرنت بشهادة أن لا إله إلا الله) وجوبَ تصديقه فيما أخبر؛ سواء كان عن الله أو صفاته أو مخلوقاته أو ما يستقبل من أمور الآخرة وغيرها من المغيبات.

٢ – أن أعرف العباد بما يصلح لهم رسول الله ﷺ، وأنه أرغب الناس في نشر الخير وتعريف الخلق به، ولذلك فما من خير إلا ودل أمته عليه، وما من شر إلا وحذرها منه،

---

(١) الشريعة: (ص ٦٢).

ومن المعلوم أن أهم الأمور بالنسبة للعباد ما يتعلق بالعقيدة من الأمور الإلهية والمعارف الدينية، والعلم فيها (مأخذه عن الرسول؛ فالرسول أعلم الخلق بها، وأرغبهم في تعريف الخلق بها، وأقدرهم على بيانها وتعريفها؛ فهو فوق كل أحد في: العلم، والقدرة، والإرادة، وهذه الثلاثة بها يتم المقصود. ومَنْ سوى الرسول: إما أن يكون في علمه بها نقص أو فساد، وإما أن لا يكون له إرادة فيما علمه من ذلك فلم يبينه: إما لرغبة وإما لرهبة، وإما لغرض آخر. وإما أن يكون بيانه ناقصاً، ليس بيانه البيان عما عرفه الجنان).

(وبيان الرسول على وجهين:

تارة: يبين الأدلة العقلية الدالة عليها. والقرآن مملوء من الأدلة العقلية والبراهين اليقينية على المعارف الإلهية والمطالب الدينية.

وتارة: يخبر بها خبراً مجرداً، لما قد أقامه من الآيات البينات، والدلائل اليقينيات على أنه رسول الله المبلَّغ عن الله، وأنه لا يقول عليه إلا الحق، وأن الله شهد له بذلك، وأعلم عباده وأخبرهم أنه صادق مصدوق فيما بلغه عنه، والأدلة التي بها نعلم أنه رسول الله كثيرة متنوعة، وهي أدلة عقلية تُعلَم صحتها بالعقل، وهي أيضاً شرعية سمعية)[1].

٣ - أن الرسول بلَّغ جميع ما أنزل إليه من ربه، ولم يكتم شيئاً من ذلك، وأنه - عليه الصلاة والسلام - قد بلغ ذلك أتم بلاغ وأبينه حتى ترك أمته على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

وقد تمثلت هذه الأمور (السابقة) في موقف السلف من السُّنة وتعظيمهم لها، وإنزالها منزلتها اللائقة بها، وذلك بكونها وحياً من الله - تعالى - وبكونه ﷺ لا ينطق

(١) رسالة الفرقان بين الحق والباطل، مجموع الفتاوى: (١٣/ ١٣٦).

عن الهوى. وبدا هذا واضحاً من خلال:

أ- الخضوع لحديث الرسول ﷺ - إذا صح - وتعظيمه وعدم الاعتراض عليه بأي نوع من أنواع الاعتراض: ومن ذلك ما روي من أن (أبا معاوية الضرير[1] كان يحدث (هارون الرشيد) فحدثه بحديث أبي هريرة - رضي الله عنه -: «احتج آدم وموسى»[2]، فقال عيسى بن جعفر: كيف هذا، وبين آدم وموسى ما بينهما؟ قال: فوثب به هارون وقال: يحدثك عن الرسول ﷺ وتعارضه بكيف! قال: فما زال يقول حتى سكت عنه)[3]، وفي رواية أنه حبسه، ولم يطلقه حتى حلف الأيمان المغلظة أنه ما سمعه من أحد وما جرى بينه وبينه كلام[4]، أي لم يتلق هذه الشبهة عن أحد. يقول الصابوني معلقاً على هذا: (هكذا ينبغي للمرء أن يعظم أخبار رسول الله ﷺ ويقابلها بالقبول والتسليم والتصديق، وينكر أشد الإنكار على من يسلك فيها غير هذا الطريق الذي سلكه هارون الرشيد - رحمه الله - مع من اعترض على الخبر الصحيح الذي سمعه بـ (كيف) على طريق الإنكار والاستبعاد له، و لم يتلقه بالقبول كما يجب أن يتلقى جميع ما يرد من الرسول ﷺ)[5].

---

(١) هو: محمد بن خازم أبو معاوية الضرير، روى له الجماعة، تهذيب التهذيب: (٩/ ١٣٧)، وتاريخ بغداد: (٥/ ٢٤٢).

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب القدر، ورقمه: (٦٦١٤)، الفتح: (١١/ ٥٠٥)، مسلم في القدر، ورقمه: (٢٦٥٢).

(٣) رواه الصابوني: عقيدة السلف أصحاب الحديث: (ص ١١٦ - ١١٧)، ط: بدر البدر، وانظر الفقرة التالية.

(٤) رواه الفسوي في المعرفة والتاريخ: (٢/ ١٨١ - ١٨٢)، والخطيب في تاريخ بغداد: (٥/ ٢٤٣)، [ومختصراً في: (١٤/ ٨٧]، وانظر: سير أعلام النبلاء: (٩/ ٢٨٨)]، وقد أوردوا القصة بطولها وهي قصة عجيبة تدل على مدى حرص الرشيد على السُّنة وحرب أهل البدع.

(٥) عقيدة السلف للصابوني: (ص ١١٧) وهو آخر الرسالة.

ولما سئل ابن المبارك حين روى حديث النزول: كيف ينزل؟ أجاب: (ينزل كيف يشاء)[1]، وفي رواية أنه قال: (إذا جاءك الحديث عن رسول الله ﷺ فاخضع له)[2].

ب - اعتمادهم على الأحاديث الصحيحة، ونبذ الأحاديث الضعيفة والموضوعة: وقد تمثل هذا عندهم بالإنكار على من اعترض على الأحاديث الصحيحة الثابتة، وتمثل أيضاً بذكرهم للأسانيد فيما يروونه. ومعلوم أنه إذا أسند الراوي فلا بد من النظر في إسناده والحكم على الحديث صحة وضعفاً بعد جمع طرقه ورواياته، ومن الملاحَظ على كتب السُّنة (التي اختصت بالعقيدة) ورود بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة فيها، ولا شك أن الناظر فيها (في العصور المتأخرة) يحس أنه كان من المفروض تمييز صحيحها من غيره، أو يراد ما صح منها فقط. أما إدخال هذه الأحاديث الضعيفة والموضوعة فيها فله سلبيات لعل من أهمها التشهير بأهل السُّنة من جانب أهل التعطيل ووصفهم لهم بالحشو والتشبيه، والتندر بهم بذكر نماذج من هذه الأحاديث. ولكن لو رجعنا إلى هذا الزمن الذي دونت فيه لوجدنا ما يبرر فعلهم هذا؛ فالعناية بالحديث كانت شديدة، ومعرفة الضعفاء والوضاعين كانت مشتهرة، ثم إن هذه الروايات التي أوردوها - ويعلمون أحيانا أنها ضعيفة - قد تكون وردت عند أحد أعلام المحدثين بطريق أو بطرق أخرى صحيحه، فليس هناك ما يضمن - مع كثرة المحدثين والرواة في مختلف أمصار المسلمين - أن هذه الأحاديث لم ترد إليهم بطرق أخرى.

ج - حجية خبر الآحاد في العقيدة إذا صح: وهذا من المعالم الرئيسة لمنهج السلف،

---

(١) رواه الصابوني في عقيدة السلف (ص ٢٩)، البيهقي في الأسماء والصفات: (ص ٤٥٣) عن الصابوني.

(٢) الصابوني في عقيدة السلف: (ص ١٧٢)، تحقيق: الأخ ناصر الجديع. مطبوع على الآلة الكاتبة وهو في طبعة بدر البدر: (ص ٢٩)، لكن عبارته: (فاصغ له).

والقول بأن أخبار الآحاد لا تفيد العلم ومن ثَمَّ فلا يُحتَج بها في العقيدة، بدعة كبرى تلقفها أو أحدثها المعتزلة، ولكن من المؤسف أن كثيراً من العلماء ممن ينتسبون إلى السُّنة - وخاصة في كتبهم في أصول الفقه - ظنوا أنها لا تفيد العلم وإنما تفيد الظن، وانتشرت هذه المقالة بنسبة القول بها إلى الجمهور، ومما يلاحظ أن كثيراً ممن ألَّف في أصول الفقه هم، إما من المعتزلة أو الأشاعرة أو الماتريدية، فأدخل هؤلاء هذه المسألة وصاروا يذكرون فيها أن أخبار الآحاد لا تفيد إلا الظن فيحتج بها في الأمور العملية من الأحكام لا العلمية، ويقصدون بها أمور العقائد بينما لو تتبعنا نصوص السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم لوجدنا الإجماع منهم - تقريباً - على عدم التفريق في أخبار الآحاد بين الأحكام والعقائد؛ ولذا يحسن هنا أن نذكر قصة إسحاق بن راهويه[1] مع عبد الله بن طاهر[2]، فقد روي عن إسحاق بن راهويه قال: (دخلت على عبد الله ابن طاهر، فقال لي: يا أبا يعقوب! تقول: إن الله ينزل كل ليلة؟، فقلت: أيها الأمير! إن الله - تعالى - بعث إلينا نبياً نقل إلينا عنه أخباراً، بها نحلل الدماء وبها نحرم، وبها نحلل الفروج وبها نحرم، وبها نبيح الأموال وبها نحرم، فإن صح ذا صح ذاك، وإن بطل ذا بطل ذاك. قال: فأمسك عبد الله)[3].

---

(١) هو: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي، أبو محمد بن راهويه المروزي، قرين أحمد بن حنبل، حياته: (١٦١ - ٢٣٧) أو: (٢٣٨ هـ)، تاريخ بغداد: (٦/ ٣٤٥)، وسير أعلام النبلاء: (١١/ ٣٥٨)، والتهذيب: (١/ ٢١٦)، وطبقات الحفاظ للسيوطي: (ص ١٨٨).

(٢) عبد الله بن طاهر، أبو الحسين بن مصعب، الأمير العادل، أبو العباس، حاكم خراسان، توفي سنة: ٢٣٠ هـ وله: (٤٨) سنة.

تاريخ بغداد: (٩/ ٤٨٣)، وولاة مصر للكندي: (ص٢٠٤ - ١٠٨)، وسير أعلام النبلاء: (١٠/ ٦٨٤)، والفرَج بعد الشدة: (١/ ٣٣٩).

(٣) ذكره البيهقي في الأسماء والصفات: (ص ٤٥٢).

هذا مذهب السلف ومنهجهم لم يُؤثَر عن أحد منهم ممن يُعتَد بقوله إذا ورد عليه حديث صح عنده ثبوته أن رد ما دل عليه من أمور العقيدة بأنه خبر آحاد، وليس هذا موضع استقصاء هذه المسألة المهمة، وإنما الغرض الإشارة المجملة.

٤ - أن الصحابة أعلم الناس بعد الرسول ﷺ بالعقيدة: لذلك فإن أقوالهم وتفاسيرهم للنصوص حجة؛ لأنهم- رضي الله عنهم - قد اكتمل فيهم الفهم والمعرفة لأصول الدين التي دلَّ عليها كتاب الله المنزَّل وسُنة رسوله ﷺ.

والعجب أن بعض من يدعي الانتساب إلى مذهب أهل السُّنة يشتد غضبه حينما يعرض لرأي الرافضة في الصحابة وتنقيصهم لهم، ولكن لا يرى بأساً في أن يقرأ أو يسمع لبعض شيوخه من المتسبين للسُنة في مقابل الرافضة والمعتزلة كلاماً يؤول إلى تنقيص الصحابة والطعن في فهمهم وعقولهم، مثل عبارة: إن الصحابة لم يعلموا (علم الكلام) لأنهم كانوا مشغولين بالجهاد، ومثل قول بعضهم: إن الصحابة كانوا يقرؤون القرآن ولكنهم يُمِرُّون النصوص المتعلقة بالصفات وغيرها دون فَهْم لها ولمعناها، أو أن الصحابة لو واجهوا الشبهات التي واجهها من بعدهم لتأوَّلوا كما تأولنا . . . إلخ.

وهذا - بلا شك - منهج خطير، لا يقف الانحراف فيه عند حد الصحابة، بل قد يلزم منه اتهام الرسول ﷺ - وهو الرسول المبلغ عن الله تعالى - بمثل هذه التهم التي توجه إلى الصحابة، رضي الله عنهم أجمعين.

والصحابة في نظر أهل السُّنة، الذين هم أهل الحديث كلهم عدول، ومن ثبتت صحبته ثبتت له العدالة بمجرد الصحبة، ولا شك أن هذه الأفضلية (أعني أفضلية الصحبة التي اختصوا بها، ولا يمكن أن ينال فضلها أحد ممن جاء بعدهم) تجعل لهم منزلة في فهم العقيدة وإدراكها، لا يمكن أن ينالها من جاء بعدهم؛ ولذلك كان السلف

يفتخرون في أن دينهم أخذوه عن التابعين عن الصحابة، فشريك بن عبد الله[1] لما قيل له: إن قوماً من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث (أي أحاديث النزول)، حدث بنحو عشرة أحاديث في هذا، وقال: (أما نحن فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين عن أصحاب رسول الله ﷺ؛ فهم عمن أخذوا؟)[2].

ولمكانة الصحابة عند السلف حرصوا على تدوين أقوالهم وآرائهم في مختلف المسائل؛ فقد روى صالح بن كيسان[3] قال: (اجتمعت أنا والزهري[4] ونحن نطلب العلم، فقلنا: نكتب السنن، فكتبنا ما جاء عن النبي ﷺ. قال: ثم قال الزهري: نكتب ما جاء عن أصحابه فإنه سُنة. قال: فقلت أنا: لا، ليس بسُنة، لا نكتبه. قال: فكتب ولم أكتب، فأنجح وضيعت)[5].

---

(١) هو: شريك بن عبد الله النخعي الكوفي، القاضي، أبو عبد الله، صدوق، يخطئ كثيراً، كان عارفاً عابداً، شديداً على أهل البدع، ولد سنة: (٩٠ هـ) وتوفي سنة ١٧٨هـ. ميزان الاعتدال: (٢/ ٢٧٠)، سير أعلام النبلاء: (٨/ ١٧٢)، تهذيب التهذيب: (٤/ ٣٣٣)، التقريب: (١/ ٣٥١).

(٢) رواه الصاغاني، كما في سير أعلام النبلاء: (٨/ ١٥٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات عن الصاغاني: (ص ٤٥١).

(٣) هو: صالح بن كيسان المدني، أبو محمد أو أبو الحارث، مؤدب ولد عمر بن عبد العزيز، ثقة، ثبت، فقيه، مات بعد سنة: ١٤٠ هـ. تهذيب تاريخ دمشق: (٦/ ٣٨٠)، وتذكرة الحفاظ: (١١/ ٤٨)، وسير أعلام النبلاء: (٥/ ٤٥٤)، والتقريب: (١/ ٣٦٢)، وطبقات الحفاظ: (ص ٦٣).

(٤) هو: محمد بن مسلم بن عبيد الله، أبو بكر القرشي الزهري المدني، أحد الأعلام، توفي سنة: ١٢٤ هـ. طبقات ابن سعد، الجزء المتمم: (ص ١٥٧)، وتاريخ دمشق، طبعت ترجمته مفردة، ووفيات الأعيان: (٤/ ١٧٧)، وغاية النهاية في طبقات القراء: (٢/ ٢٦٢)، وسير أعلام النبلاء: (٥/ ٣٢٦)، والوافي للصفدي: (٥/ ٢٤)، وتهذيب التهذيب: (٩/ ٤٤٥).

(٥) رواه عبد الرزاق في المصنف: (١١/ ٢٥٨) ورقمه: (٢٠٤٨٧)، والخطيب في تقييد العلم: (ص ١٠٦ - ١٠٧)، وابن سعد في الطبقات: (٢/ ٣٨٨)، وفي الجزء المتمم: (ص ١٦٨)، والفسوي في المعرفة: (١/ ٦٣٧، ٦٤١)، وابن عساكر (ترجمة الزهري مفردة): (ص ٦٢)، وأبو نعيم في الحلية: (٣/ ٣٦٠).

والصحابة تميزوا في العقيدة وفهمها بعدة ميزات، أهمها:

أ- أنهم شاهدوا التنزيل، وعاشوا مع النبي ﷺ وهو يتلقى هذا الوحي من ربه والذي ينزل عليه مفرَّقاً حسب الوقائع والأحداث، فعاصروها جميعاً، واحدة فواحدة؛ فكيف لا يكونون - وهم كذلك - أعلم الناس بالتنزيل وأسباب نزوله إن كانت له أسباب، وأعلم الناس من ثَمَّ بمراد الله ومراد رسوله ﷺ. ولا يقول عاقل: إن من حضر الواقعة أو الحادثة - أياً كانت - أقل علماً بها ممن لم يحضرها ولم يشارك فيها.

ب - من المعلوم أن حواريي الرسل وصحابتهم الذين اتبعوهم وآمنوا بهم هم أكثر الناس فهماً لرسالتهم وما يتلعق بها من أحكام؛ سواء في العقيدة أو الشريعة؛ فهم العارفون بدقائقها المدركون لحقائقها، وهم أكمل الناس علماً وعملاً، ولا يكون مَنْ بعدَهم أكمل منهم في شيء من ذلك؛ ولذلك روى عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره. ثم إنها تخلُفُ من بعدهم خلوف. يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون؛ فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»[1]، فمن سار على نهج الصحابة سلم من هذه الصفة الذميمة. ومع كل ذلك فمن أتى بعد الصحابة فلن يكون مثلهم في الفهم والعلم.

ج - لم يكن بين الصحابة خلاف في العقيدة، فهم متفقون في أمور العقائد التي تلقَّوها عن النبي ﷺ بكل وضوح وبيان، وهذا بخلاف مسائل الأحكام الفرعية القابلة للاجتهاد والاختلاف. يقول ابن القيم- رحمه الله -: (إن أهل الإيمان قد يتنازعون في بعض الأحكام، ولا يخرجون بذلك عن الإيمان، وقد تنازع الصحابة في كثير من مسائل

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، ورقمه: (٨٠).

الأحكام وهم سادات المؤمنين، وأكمل الأمة إيماناً. ولكن - بحمد الله - لم يتنازعوا في مسألة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال، بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسُّنة، كلمة واحدة، من أولهم إلى آخرهم، لم يسوموها تأويلاً، و لم يحرفوها عن مواضعها تبديلاً، ولم يُبدُوا لشيء منها إبطالاً، ولا ضربوا لها أمثالاً، ولم يدفعوا في صدورها وأعجازها، و لم يقل أحد منهم: يجب صرفها عن حقائقها، وحملها على مجازها، بل تلقوها بالقبول والتسليم، وقابلوها بالإيمان والتعظيم، وجعلوا الأمر فيها كلها أمراً واحداً، وأجروها على سنن واحدة)[1].

والأمور اليسيرة التي اختلفوا فيها، كرؤية النبي ﷺ ربه، وغيرها لا تؤثر في هذه القاعدة العامة؛ لأن الخلاف فيها كان لأسباب وقد يكون لبعض الصحابة من العلم ما ليس عند الآخر؛ لكنهم- رضي الله عنهم - إذا جاءهم الدليل خضعوا له بلا تردد.

د - كان الصحابة يسألون عما يُشْكِل عليهم، وهذا أمر مشهور عنهم، رضي الله عنهم؛ فأم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - رُوي عنها أنها (كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه)[2]؛ ولذلك سألت رسول الله ﷺ عندما قال: «من نوقش الحساب عذب» عن الآية: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [**الانشقاق**: ٧ - ٨]، فأجابها: «إنما ذلك العرض...»[3]، كذلك سأل الصحابة

---

(١) إعلام الموقعين: (١/ ٥١ - ٥٢) ت: الوكيل.

(٢) رواه البخاري عن ابن أبي مليكة في العلم، رقم: (١٠٣)، واسمه: عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله ابن أبي مليكة بن عبد بن جدعان ثقة، فقيه، روى عن مجموعة من الصحابة، (منهم عائشة) وروى له الجماعة. انظر: التهذيب: (٥/ ٣٠٦)، والتقريب: (١/ ٤٣١).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري عن ابن أبي مليكة عن عائشة، كما رواه عن ابن أبي مليكة عن القاسم عن عائشة، وأرقامه: (١٠٣، ٦٥٣٧، ٦٥٣٦، ٤٩٣٩)، ومسلم في الجنة، ورقمة: (٢٨٧٦).

عن رؤية الله فمثَّل لهم برؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب[1]، وكذلك قدرة الله على البعث ضرب لها مثالاً بالنبات[2].

ومن هذه الميزات تتضح بجلاء مكانة الصحابة وعلمهم وفهمهم - رضي الله عنهم أجمعين - كما يتبين فضلهم - في هذه الأمور وغيرها - على من جاء بعدهم، وأن أي تجهيل لهم بأسلوب صريح أو غير صريح يعتبر ضلالاً وانحرافاً، لا يتوقف عند حدِّ اتهام الصحابة أنفسهم، بل يتعداه إلى ما بلَّغوه عن رسول الله ﷺ من أمور الدين كلها. وإن العجب ليأخذ الإنسان وهو يقرأ مثل هذا الكلام لأحد الكتاب وهو يعرض لمذهب السلف ومدرستهم. يقول: (لعلنا نلمح من خلال هذا العرض الفرقَ الواضح بين الإيمان والمعرفة؛ فالأول محله القلب، والثانية محلها العقل. ومن ثَمَّ نستطع أن نقرر أن المتدينين في الصدر الأول قد فقهوا النص الديني- وخاصة ما يتعلق بأمور العقيدة - بقلوبهم قبل إدراكه بمقاييس العقل، كالذي عُرِف فيما بعد لدى بعض فرق المتكلمين، وتخريجهم نصوص العقيدة على مقتضى ما وضعوه من مقامات عقلية) ثم يعقب قائلاً: (وليس في هذا القول نسبة لهم (أي المتدينين) إلى التجهيل كما فهم تقي الدين ابن تيمية)[3].

هكذا يقول الكاتب عن الصدر الأول وفيهم الصحابة: إنهم كانوا يؤمنون بأمور

---

(١) رواه أحمد عن أبي رزين العقيلي ابن المنتفق المسند: (٤/ ١١)، ورواه أبو داود في السُّنة، رقمه: (٤٧٣١)، وابن ماجه في المقدمة، ورقمه: (١٨٠)، وابن أبي عاصم في السُّنة، رقمه: (٤٥٩ - ٤٦٠)، وحسنه الألباني.

(٢) رواه أحمد عن أبي رزين العقيلي، واسمه لقيط بن عامر بن المنتفق، وهو الذي سأله. المسند: (٤/ ١١).

(٣) المدرسة السلفية، تأليف: محمد عبد الستار نصار: (ص ٤٧٨).

العقيدة بقلوبهم، ولكنهم لا يعرفونها بعقولهم، وإنما عرفها أهل الكلام من بعد لما جاؤوا بالمقدمات العقلية، ومع ذلك فليس في هذا تجهيل للصحابة والصدر الأول[1].

٥ - ومن منهج السلف، التسليم لما جاء به الوحي، مع إعطاء العقل دوره الحقيقي، وعدم الخوض في الأمور الغيبية مما لا مجال للعقل فيه: فالسلف - رحمهم الله - لم يُلغُوا العقل كما يزعم خصومهم من أهل الكلام، أو من لا خبرة له بمذهب السلف من غيرهم، كما أنهم لم يحكِّموه في جميع أمورهم كما فعل أهل الضلال، وإنما وزنوا الأمر بموازين الشرع: فما جاء به الوحي فهو حق وصدق ولا يمكن أن يخالف معقولاً صريحاً أبداً؛ إذ كيف يخالفها والوحي من الله والعقل مخلوق لله، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك والمقصود هنا بيان أن من منهجهم التسليم لما ورد في النصوص وعدم معارضتها بشيء من الأهواء أو العقول، مع إعطاء العقل دروه المناسب له[2].

٦ - لم يكونوا يتلقون النصوص ومعهم أصول عقلية يحاكمون النصوص إليها، فِعْلَ المعتزلة وغيرهم الذين وضعوا أصولاً عقلية، ثم لما جاؤوا إلى القرآن والسُّنة وما فيهما من دلالات في الاعتقاد، نظروا؛ فما وجدوه موافقاً لتلك الأصول العقلية أخذوا به، وما وجدوه مخالفاً لشيء منها أوّلوه أو أنكروا الاحتجاج به، وقد كان سيد قطب - رحمه الله - من الدعاة إلى هذا المنهج في العودة إلى العقيدة والتصور الإسلامي. يقول في كلامه حول المنهج الصحيح لذلك: (ومنهجنا في استلهام القرآن الكريم، ألا نواجهه بمقررات سابقة إطلاقاً، لا مقررات عقلية، ولا مقررات شعورية من رواسب الثقافات التي لم نستقِها من القرآن ذاته نحاكم إليها نصوصه، أو نستلهم معاني

---

(١) انظر: في موضوع منزلة الصحابة، قواعد المنهج السلفي: (ص٥١ - ٦٨) الطبعة الثانية.

(٢) انظر: علاقة الإثبات والتفويض: (ص٢٣ - ٢٦)، ومنهج علماء الحديث والسُّنة: (ص٤٠)، وانظر: نقض التأسيس المطبوع: (١/ ٢٤٦ - ٢٤٧).

هذه النصوص وَفْقَ تلك المقررات السابقة).

ويقول أيضاً - رحمه الله -: (لقد جاء النص القرآني - ابتداءً - لينشيء المقررات الصحيحة التي يريد الله أن تقوم عليها تصورات البشر، وأن تقوم عليها حياتهم، وأقل ما يستحقه هذا التفضل من العلي الكبير، وهذه الرعاية من الله ذي الجلال - وهو الغني عن العالمين - أن يتلقوها وقد فرَّغوا لها قلوبهم وعقولهم من كل غبش دخيل، ليقوم تصورهم الجديد نظيفاً من كل رواسب الجاهليات، قديمها وحديثها على السواء، مستمداً من تعليم الله وحدَه، لا من ظنون البشر، التي لا تغني من الحق شيئاً).

(ليست هناك إذن مقررات سابقة نحاكم إليها كتاب الله، تعالى؛ إنما نحن نستمد مقرراتنا من هذا الكتاب ابتداءً، ونقيم على هذه المقررات تصوراتنا ومقرراتنا، وهذا وحدَه هو المنهج الصحيح، في مواجهة القرآن الكريم، وفي استلهامه خصائص التصور الإسلامي ومقوماته)[1].

٧ - الرجوع إلى النصوص الواردة في مسألة معيَّنة، وعدم الاقتصار على بعضها دون بعضها الآخر: وهذا ناشئ من أنهم لا يفرقون بين النصوص وليس لديهم أصول عقلية متقررة سلفاً عندهم ليأخذوا من النصوص ما وافقها ويَدَعوا ما خالفها، كما وقع فيه أهل الأهواء كلهم؛ إذ ما من طائفة من طوائفهم إلا وأخذت بجزء من النصوص مما يوافق مذهبها ثم تأتي طائفة تطعن في أدلة الطائفة الأخرى... وهكذا في جميع مسائل العقيدة.

أما السلف - ومذهبهم هو الوسط - فلا يسلكون مثل هذا المنهج، بل يأخذون

---

(١) خصائص التصور الإسلامي: (ص١٤ - ١٥)، ومع هذا المنهج الواضح لسيد قطب فلا يخلو كتابه (في ظلال القرآن) من بعض الهفوات التي وقع بها، خاصة في بعض الصفات كالاستواء وغيره.

بجميع النصوص، فيكون معهم الحق الذي مع كلٍّ من الطائفتين المنحرفتين، ويسلمون من الباطل الذي معهما. والأمثلة على ذلك كثيرة وواضحة والحمد لله. فالسلف يجمعون النصوص في المسألة الواحدة من مسائل العقيدة وغيرها، ثم يأخذون بها جميعاً فيخلصون إلى مذهبٍ وسطٍ هو المذهب الحق والعدل.

٨ - التزام العدل والإنصاف مع أعدائهم: فهم يعترفون بما عند الخصوم من حق، ولا يعميهم ما يجدونه عندهم من ضلال فيصدهم عن قول الحق فيهم، أو يدعوهم إلى رميهم بما ليس فيهم من الباطل. وهذا بخلاف منهج أهل الأهواء الذين يرمون كل من لم يقل بمقالتهم بشتى أنواع التهم، ويحملون أقوال من يخالفهم أسوأ الاحتمالات، ولا يعترفون له بحق أبداً. أما أهل السُّنة فيلتزمون الإنصاف مع أنفسهم ومع من يخالفهم، ولذلك فهم يقسمون مَنْ عداهم إلى قسمين:

١ - أهل كفر وعناد: فهؤلاء يجاهدونهم ويكشفون باطلهم.

٢ - أهل بدعة وعصيان: فهؤلاء يحمدون لهم ما عندهم من إيمان وجهاد وخير وخدمة للإسلام، ويردون ما هم عليه من بدعة، ويبينون ما فيها من ضلال ومخالفة لمذهب أهل السُّنة، ومن كان داعياً إلى بدعته فالموقف منه يشتد حسب خطورة المقالة الضالة التي أتى بها، وحسب المصلحة التي تنجم عن كشف البدعة وتفسيق صاجها.

٩ - لا يتعصبون لشخصٍ إلا للرسول ﷺ، فعندهم أن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا الهادي البشير ﷺ؛ لأنه الذي لا ينطق عن الهوى. وهذا بخلاف أهل الأهواء الذين يتعصبون لطائفتهم أو إلى رجل من رجالهم، ويجعلون أقوال هؤلاء كالنصوص، لا تقبل الرد ولا التأويل، ومن ثَمَّ يردون نصوص الكتاب والسُّنة لأجلها. أما أهل السُّنة فإمامهم وقائدهم الذي يتبعون ما جاء به ويَزِنُون جميع أقوال الناس بأقواله، رسول الله ﷺ.

ثانياً: ما تميَّز به السلف (أهل السُّنة والجماعة) عن غيرهم:

والقصد من هذا بيان الميزات التي تميز بها أهل السُّنة عن غيرهم، ومن أهمها:

١ - أن أهل السُّنة ليس لهم اسم يسمَّون به إلا اسم (أهل السُّنة والجماعة)، أو (أهل الحديث) فهو الاسم الذي عُرفُوا به، وهذا بخلاف أصحاب البدع الذين تسمَّوا بأسماء وألقاب أو عرفوا بها فصارت عَلَماً عليهم، ومن المعلوم أن أهل السُّنة قد يسميهم غيرهم بأسماء وألقاب أخرى؛ إذ ما من فرقة إلا وسمَّت أهل السُّنة باسم يناسب ما خالفها فيه أهل السُّنة، ولكن بقي أهل السُّنة لم يلزمهم شيء من هذه الألقاب الباطلة؛ ولذلك ذكر ابن عبد البر أن رجلاً جاء إلى الإمام مالك فقال: «يا أبا عبد الله! أسألك عن مسألة أجعلك حجة فيما بيني وبين الله، عز وجل. قال مالك: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، سل. قال: من أهل السُّنة؟ قال: أهل السُّنة الذين ليس لهم لقب يُعرَفُون به، لا جهمي، ولا قدري، ولا رافضي[1]، ويقول الشيخ عبد القادر الجيلي[2] في الغنية: (واعلم أن لأهل البدع علامات يعرفون بها؛ فعلامة أهل البدعة الوقيعة في أهل الأثر، وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل الأثر بالحشوية، ويريدون إبطال الآثار، وعلامة القدرية تسميتهم أهل الأثر مجبرة، وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السُّنة مشبهة، وعلامة الرافضة تسميتهم

---

(١) الانتقاء لابن عبد البر: (ص ٣٥).

(٢) أو الجيلاني، وهو الشيخ عبد القادر بن أبي صالح بن عبد الله الجيلي الحنبلي، وفي مقدمة الغنية في ترجمته: (ص ٣) عبد القادر بن موسى وكذا في الأعلام: (٤/ ٤٧) الطبعة الأخيرة، ولد الشيخ عبد القادر سنة ٤٧٠ هـ، وتوفي سنة ٥٦١هـ. قال عنه الذهبي: (وفي الجملة: الشيخ عبد القادر كبير الشأن، وعليه مآخذ في بعض أقواله ودعاويه)، وسماه في بداية الترجمة شيخ الإسلام وعلم الأولياء. سير أعلام النبلاء: (٢٠/ ٤٣٩ - ٤٥١)، وانظر الأنساب: (٣/ ٤١٤)، ط لبنان والمنتظم: (١٠/ ٢١٩)، وذيل طبقات الحنابلة: (١/ ٢٩٠ - ٣٠١).

أهل الأثر ناصبة. وكل ذلك عصبية وغياظاً لأهل السُّنة، ولا اسم لهم إلا اسماً واحداً وهو: أصحاب الحديث، ولا يلتصق بهم ما لقَّبهم به أهل البدع، كما لم يلتصق بالنبي ﷺ تسمية كفار مكة ساحراً وشاعراً ومجنوناً ومفتوناً وكاهناً، ولم يكن اسمه عند الله وعند ملائكته وعند إنسه وجنّه ولسائر خلقه إلا رسولاً نبياً)[1].

٢ - توسطهم بين الناس، وعدم الإفراط أو التفريط، وهذا مبني على أن مذهبهم هو المذهب الوسط. وقد حرص السلف على أن يكونوا وسطاً.

في الأمور كلها وأن لا ينساق أحد منهم مع أحد القولين المتطرفين؛ ولذلك كان الشعبي[2] يقول: (أَحبَّ أهل بيت نبيك ولا تكن رافضياً، واعمل بالقرآن ولا تكن حرورياً، واعلم أن ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك، ولا تكن قدرياً، وأطع الإمام وإن كان عبداً حبشياً ولا تكن خارجياً، وقف عند الشهوات ولا تكن مرجئياً، وأحب صاع بني هاشم ولا تكن خشبياً[3]، وأحب من رأيته يعمل الخير وإن كان أخرم سندياً)[4].

٣ - ثباتهم على منهجهم لقناعتهم أنه الحق، وعدم تقلبهم كما هي عادة أهل الأهواء؛ ولذلك روي عن عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - أنه قال: (من جعل دينه

---

(١) الغنية: (١/ ٨٠).

(٢) هو: الإمام المشهور: عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، أبو عمرو الهمذاني الشعبي، روى له الجماعة. توفي سنة ١٠٥هـ، وقيل غير ذلك. انظر: أخبار القضاة: (٢/ ٤١٣ - ٤٢٨) والحلية: (٤/ ٣١٠)، وسير أعلام النبلاء: (٤/ ٢٩٤)، والوافي في الوفيات: (١٦/ ٥٨٧).

(٣) هم أتباع المختار بن أبي عبيد، من الشيعة، وهم من الكيسانية وغيرهم، وسموا بذلك لاستعمالهم العكاكيز في الحرب. انظر: مروج الذهب: (٣/ ٣١٠)، منشورات الجامعة اللبنانية.

(٤) تهذيب تاريخ دمشق: (٧/ ١٤٣).

غرضاً للخصومات أكثر التنقل)[1]، كما روي عن الإمام مالك أنه قال: (كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما نزل به جبريل على محمد ﷺ لجدله)[2]، وروى معن بن عيسى قال: (انصرف مالك بن أنس - رضي الله عنه - يوماً من المسجد وهو متكىء على يدي، فلحقه رجل يقال له أبو الحورية كان يتهم بالإرجاء، فقال: يا عبد الله! اسمع مني شيئاً أكلمك به وأحاجك، وأخبرك رأيي. قال: فإن غلبتني؟ قال: إن غلبتك اتبعني. قال: فإن جاء رجل آخر فكلمنا فغلبنا؟ قال نتبعه. قال مالك - رحمه الله تعالى -: يا عبد الله! بعث الله - عز وجل - محمداً ﷺ بدين واحد، وأراك تنتقل من دين إلى دين. قال عمر بن عبد العزيز: من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل)[3]..

ولذلك ما أكثر تنقُّل أهل الأهواء، بخلاف السلف الذين عرفوا الحق فثبتوا عليه. وأهل الكلام (لو اعتصموا بالكتاب والسُّنة لا تفقوا كما اتفق أهل السُّنة والحديث، فإن أئمة السُّنة والحديث لم يختلفوا في شيء من أصول دينهم)[4].

٤ - اتفاقهم على أمور العقيدة، وعدم اختلافهم مع اختلاف الزمان والمكان، وهذا ما يمكن أن يسمى بالوحدة الفكرية عندهم (فأهل السُّنة في أي قرن من القرون، وفي أي مكان لو اختبرت الواحد منهم لوجدته يحمل من العقيدة والمنهج - مع القناعة التامة بذلك

---

(١) رواه الدارمي، رقم: (٣١٠)، باب من قال: العلم الخشية وتقوى الله، والآجري في الشريعة: (ص ٥٦)، والبغوي في شرح السُّنة: (١ / ٢١٧)، ط المكتب الإسلامي، ورواه اللالكائي في شرح السُّنة، رقم: (٢١٦).

(٢) رواه اللالكائي في شرح السُّنة، رقم: (٢٩٣ - ٢٩٤).

(٣) الشريعة للآجري: (ص ٥٦ - ٥٧).

(٤) درء تعارض العقل والنقل: (٣٠٦/١٠).

- مثل ما يحمله الآخر. يقول قِوام السُّنة الأصبهاني[1]: (مما يدل على أن أهل الحديث هم أهل الحق أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم، مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطراً من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة، ونمط واحد، يجرون على طريقة لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد، لا ترى فيهم اختلافاً ولاتفرقاً في شيء مَّا وإن قل. بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء عن قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا؟)[2]. وهذا وصف دقيق لوحدة أهل السُّنة وعدم تباين واختلاف أقوالهم مثل ما حدث ويحدث لمن عداهم من أهل الأهواء والابتداع.

٥ - ردهم على أهل البدع في كل زمان حسب البدع التي نشأت فيه؛ وهذا لأنهم حريصون أتم الحرص على سلامة العقيدة من أن يشوبها شيء من كدر الهوى والابتداع؛ فكلما حدثت بدعة ردوا عليها وبينوا فسادها، وهكذا في البدع التي تليها. ولا يفتعلون افتراضات وشبهات ثم يقومون بالرد عليها كما يفعل أهل البدع، وإنما يحرصون على تربية الناس على العقيدة الصحيحة من الكتاب والسُّنة، ويبينون للناس ذلك ويشرحونه، حتى تمتلىء قلوبهم بعظمة الله، وبعظمة الوحي من كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ. وما يترتب على هذه التربية من الاعتزاز بهذا الدين وبمذهب أهل السُّنة

---

(١) هو: الإمام إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي، التيمي الأصبهاني، (ويقال له: الجوزي، نسبة إلى الجوزة، وهي الفرخة في لغة العجم)، وبها نسبه تلميذه صاحب الأنساب، وذكر أنه كان يكرهها، لكنه قال: ولولا اشتهاره بها ما نسبته إليها، ويلقب بِقِوام السُّنة، ولد سنة: ٤٥٧ هـ وتوفي سنة: ٥٣٥ هـ. الأنساب: (٣/ ٣٦٨)، وطبقات الشافعية للأسنوي: (١/ ٣٥٩) وشذرات الذهب: (٤/ ١٠٥)، وسير أعلام النبلاء: (٢٠/ ٨٠)، والأعلام: (١/ ٣٢٣).

(٢) الحجة في بيان المحجة (مخطوط) ورقمة: (١٦٤) ب.

والجماعة، وأنه طريق النجاح والفلاح. أما مجادلة أهل البدع والرد عليهم فإنما يأتي عرضاً حسب خطورة البدعة والخوف من انتشارها، فيردون عليها فقط ولا يتعدى ذلك إلى افتراض بدع أخرى ثم الرد عليها، حتى توجد هذه البدعة؛ ولذلك فمن الواضح من منهج السلف أنه (قد يبين بعضهم في بعض الأوقات ما لا يبينه غيره لحاجته في ذلك؛ فمن ابتلي بمن يقول: ليس هذا كلام الله كالإمام أحمد كان كلامه في ذم من يقول: هذا مخلوق، أكثر من ذمه لمن يقول: لفظي مخلوق. ومن ابتلي بمن يجعل بعض صفات العباد غير مخلوق، كالبخاري صاحب الصحيح، كان كلامه في ذم من يجعل ذلك غير مخلوق أكثر. مع نص أحمد والبخاري وغيرهما على خطأ الفريقين)[1].

٦ - حبهم لسُنة الرسول ﷺ، وموالاتهم لأهلها: وهذه ميزة بارزة لأهل السُّنة كما أن ضدها من الإعراض عن السُّنة وعدم الاهتمام بها، والإزراء أحياناً بمن يفنون أعمارهم في روايتها ونقلها وتعليمها للناس، إحدى علامات أهل البدع الكبرى. رُوي عن البخاري أنه قال: (كنا ثلاثة أو أربعة على باب علي بن عبد الله فقال: إني لأرجو أنَّ تأويل هذا الحديث عن النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم»[2]، إني لأرجو أنَّ تأويل هذا الحديث أنتم؛ لأن التجار قد شغلوا أنفسهم بالتجارات، وأهل الصنعة قد شغلوا أنفسهم بالصناعات، والملوك قد شغلوا أنفسهم بالمملكة، وأنتم تحبون سُنة النبي ﷺ[3]، ويقول قتيبة بن سعيد[4]: (إذا رأيت الرجل يحب أهل الحديث مثل يحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، وأحمد بن حنبل،

(١) الجواب الصحيح: (٣/ ١٠٣).

(٢) سبق تخريجه: (ص ٢٤).

(٣) شرف أصحاب الحديث: (ص ٥٢).

(٤) هو: قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف الثقفي، أبو رجاء البغلاني، ثقة ثبت، ولد سُنة ١٤٩ هـ، وتوفي سنة= =٢٤٠ هـ. روى له الجماعة. سير أعلام النبلاء: (١١/ ١٣)، والأنساب: (٢/ ٢٥٧)، والتقريب: (٢/ ١٢٣).

وإسحاق بن راهويه (وذكر قوماً آخرين)، فإنه على السُّنة، ومن خالف هذا فاعلم أنه مبتدع)[1]، ويقول الشيخ أبو إسماعيل الصابوني: (وإحدى علامات أهل السُّنة حبهم لأئمة السُّنة وعلمائها وأنصارها وأوليائها، وبغضهم لأئمة البدع الذين يدعون إلى النار، ويدلون أصحابهم على دار البوار، وقد زين الله - سبحانه - قلوب أهل السُّنة ونورها بحب علماء السُّنة فضلاً منه، جلَّ جلاله)[2].

٧ - قبولهم عند الناس والتمكين لهم: فهم العدول الذين تُقبَل أقوالهم ويُحتَجُّ برواياتهم. ولو استعرضنا تاريخ الإسلام لوجدنا البارزين فيه كل عصر هم أهل السُّنة الذين قاموا بالحق ودعوا إليه، وجددوا ما اندرس من أمور الإسلام، وجاهدوا في الله حق جهاده بالنفس والمال والقلم واللسان. يقول إسحاق ابن موسى الخطمي[3]: ما مُكِّن لأحد من هذه الأمة ما مُكِّن لأصحاب الحديث؛ لأن الله - عز وجل - قال في كتابه: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾[النور: ٥٥] فالذي ارتضاه الله قد مكن لأهله فيه، و لم يمكِّن لأصحاب الأهواء في أن يُقبَل منهم حديث واحد عن أصحاب النبي ﷺ. وأصحاب الحديث يُقبَل منهم حديث رسول الله ﷺ وحديث أصحابه. ثم إن كان فيهم رجل أحدث بدعة سقط حديثه وإن كان من أصدق الناس)[4]. وهذا على العموم، وإلا فقد روى بعض العلماء عن بعض أهل البدع بشروط دقيقة حددوها.

---

(١) شرف أصحاب الحديث: (ص ٧١ - ٧٢)، ورواه - مع اختلاف يسير - الصابوني في عقيدة السلف: (ص ١٠٩)، واللالكائي في شرح السُّنة، رقم: (٥٩).

(٢) عقيدة السلف للصابوني: (ص ١٠٨ - ١٠٩).

(٣) هو: اسحاق بن موسى الخطمي، أبو موسى المديني، ثقة متقن من رجال مسلم وبعض أصحاب السنن، توفي سنة ٢٤٤ هـ، تهذيب الكمال للمزي: (٢/ ٤٨٠) مطبوعة، وسير أعلام النبلاء: (١٠/ ٥٥٤)، والتقريب: (١/ ٦١).

(٤) شرف أصحاب الحديث: (ص ٣٢).

٨ - حرصهم على تنشئة الشباب على السُّنة؛ لأن الشاب إذا نشأ على قراءة القرآن ومحبة السُّنة ومدارستها، وما ينشأ عن ذلك من مجالسة أصحابها والتعلم منهم، أحرى أن يكون معهم وأن يكون صاحبَ سُنة، مبغضاً للبدعة وأصحابها. قال عمرو بن قيس الملائي[١]: (إذا رأيت الشاب أول ما ينشأ مع أهل السُّنة والجماعة فارجُه، وإذا رأيته مع أهل البدع فايئس منه فإن الشاب على أول نشوئه)[٢]، وقال عبد الله بن شوذب[٣]: (إن من نعمة الله على الشاب إذا نسك أن يواخي صاحب سُنة يحمله عليها)[٤]، وروى عن أيوب [السختياني][٥] أنه قال: (إن من سعادة الحدث والأعجمي أن يوفقهما الله لعالم من أهل السُّنة)[٦].

٩- الحرص على جماعة المسلمين ووحدتهم: فهم دائماً يحضون على الوحدة وينبذون الفرقة والتفرق. وهذا واضح في منهج السلف القائم على أن أي اتفاق بين المسلمين لا يكون إلا على أساس الرجوع إلى الكتاب والسُّنة، وتحكيمها، فهم أهل السُّنة والجماعة المجتمعون على الحق، الحريصون على جمع الناس على كلمة الحق.

---

(١) أبو عبد الله الكوفي، ثقة متقن، عابد، مات سنة بضع وأربعين ومئة حددها بعضهم بسنة ١٤٦ هـ. تهذيب التهذيب: (٨/ ٩٢)، والتقريب: (٢/ ٧٢).

(٢) الإبانة (الصغرى) لابن بطة، (ص ١٣٣) رقم: (٩٢).

(٣) هو: عبد الله بن شوذب الخراساني، أبو عبد الرحمن، صدوق عابد، ولد سنة ٨٦ هـ، وتوفي سنة ١٤٤ هـ، وقيل: ١٥٦ هـ. الحلية: (٦/ ١٢٩)، سير أعلام النبلاء: (٧/ ٩٢)، تهذيب التهذيب: (٥/ ٢٥٥)، التقريب: (١/ ٤٢٣).

(٤) شرح السُّنة للالكائي رقم: (٣١)، وانظر: الإبانة (الصغرى)، (ص ١٣٣).

(٥) هو: أيوب بن أبي تميمة، كيسان السختياني، أبو بكر البصري، ثقة ثبت حجة من كبار الفقهاء والعباد، توفي سنة ١٣١ هـ. سير أعلام النبلاء: (٦/ ١٥)، تهذيب المزي: (٣/ ٤٥٧)، رقم الترجمة: ٦٠٧ (مطبوعة)، وتهذيب التهذيب: (١/ ٣٩٧)، (١/ ٣٩٧)، والتقريب: (١/ ٨٩).

(٦) رواه اللالكائي، رقم: ٣٠، وابن الجوزي في تلبيس: (ص ٩)، الطبعة المنيرية.

١٠ - أخلاقهم وسلوكهم: فهم متميزون بحسن الخلق، ومحبة الخير للناس، والدعوة إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال:

• فهم ينصحون للأمة، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

• ويدعون الأمة إلى الاجتماع والتناصح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر.

• ويأمرون بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء والرضى بالقضاء.

• ويندبون إلى أن تصل من قطعك، وتعطي من منعك، وتعفو عمن ظلمك.

• ويأمرون ببر الوالدين، وصلة الأرحام.

• ويأمرون بحسن الجوار وحفظ حقوقه.

• كما يأمرون بالإحسان إلى اليتامى والمساكين، وابن السبيل.

• وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق.

• ويأمرون بمعالي الأخلاق، وينهون عن سفسافها[١].

---

(١) انظر: أواخر العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، وهي خاتمة بديعة، نتمنى من دارسي العقيدة ومدرسيها الوقوف معها علماً وعملاً.



وبعد، فهذه لمحات في منهج أهل السنة والجماعة، وطريقة السلف في الاستدلال.

والذي أوصي به فيه هذه الخاتمة أمور:

١ - أن التزام منهاج السلف أساسه الإسلام والتسليم لنصوص الكتاب والسُّنة، وتعظيمهما في القلوب.

٢ - أن الهجوم على منهج السلف يزيده قوة وقبولاً؛ فعلى المتمسكين به أن يدركوا هذه الحقيقة؛ خاصة إذا صحب ذلك صبر ومصابرة وثبات وعدل وإنصاف من جانب أهل الحق، ومعلوم أن العاقبة للمتقين.

٣ - قد يوجد في من ينتسب إلى مذهب السلف من يقع في زلة، أو خطأ، أو خلق لا يرتضى؛ فمن الواجب والإنصاف أن يُنسَب مثل هذا إلى صاحبه لا إلى منهج السلف عموماً، وعلينا النصيحة وبيان الحق.

٤ - ما من حق عند المخالفين، أو خلق فاضل عند بعضهم إلا والأصل فيه أنه عند



السلف قائم بهم؛ وقد ذكر بعض الأئمة أنه ما من أمر يمدح فيه بعض أهل البدع إلا ما وافق فيه أهل السُّنة.

٥ - منهاج السلف وصفاتهم هي جوانب عملية، ينبغي لكل مسلم أن يتمثلها عملاً بعد فهمها والعلم بها، ومن ثَمَّ نشرها والدعوة إليها.

أسأل الله - تعالى - بمنه وكرمه أن يوفقنا لسلوك المنهج الحق، وأن يعيذنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصحفة
المقدمة	٥
تمهيد	٩
المبحث الأول: التعريف بأهل السُّنة والجماعة	١٣
أولاً : السلف	١٣
ثانياً : أهل السُّنة	١٥
ثالثاً : الجماعة	١٩
رابعاً : أهل الحديث	٣٦
المبحث الثاني: من المقصود بالسلف؟	٣٩
أولاً : من المقصود بالسلف ؟	٣٩

ثانياً: نشأة التسمية بأهل السُّنة والجماعة ٣٥

المبحث الثالث: منهج السلف في العقيدة ٤٣

منهج السلف في العقيدة ٤٦

أولاً: أول قاعدة في منهج السلف، هي اقتصارهم في مصدر التلقي على الوحي ٤٦

ثانياً: حجية السُّنة في العقيدة، ومن ذلك خبر الآحاد ٥٦

ما تميز به السلف (أهل السُّنة) عن غيرهم ٦٩

الخاتمة ٧٧

الفهرس ٧٩

ح مجلة البيان، ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المحمود، عبد الرحمن صالح

منهج السلف في العقيدة / عبد الرحمن صالح المحمود - الرياض، ١٤٣٢هـ

ص ٨٠؛ ١٧,٥×٢٤ سم

ردمك: ٧ - ٥ - ٩٠٢١٩ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١ - العقيدة الإسلامية أ. العنوان

ديوي ٢٤٠ ٦٠٧٠/ ١٤٣٢

رقم الإيداع: ٦٠٧٠/١٤٣٢

ردمك: ٧ - ٥ - ٩٠٢١٩ - ٦٠٣ - ٩٧٨